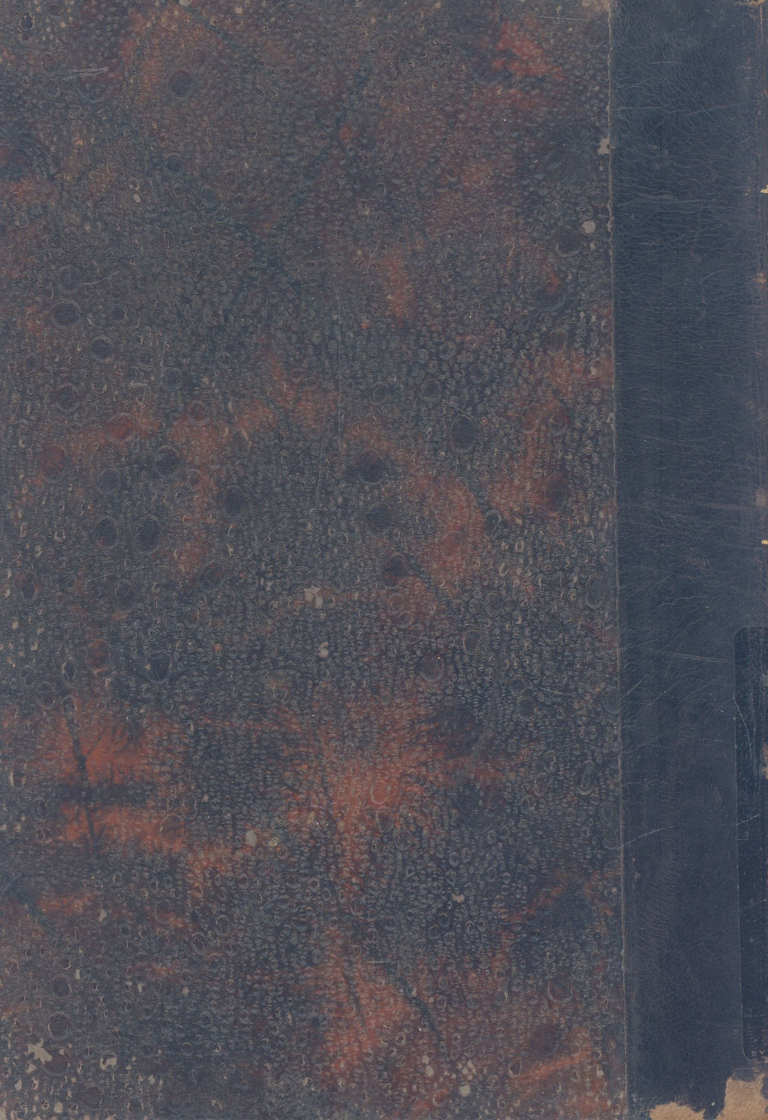


على هامش الحياة



علي سعد مراد

الناشر مكتبة النهضة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علّم بالقلم ؛ علّم الانسان مالم يعلم . . .
وله الشكر ، سبحانه وتعالى ، على أن وهب الانسان
نعمة العقل ، فميّزه به عن سائر المخلوقات .

وبعد ؛ فإن الناس فى هذه الحياة على أنواع : فمنهم
من تقع الحوادث تحت بصره ، فلا يكاد يحسّ بها أو يفقه
منها شيئا ؛ وهؤلاء لاتخسر الدنيا شيئاً بفقدهم . . .
ومنهم من تقع الحوادث تحت بصره ، فيحسّ بها
ولكنه لايكلف نفسه عناء التفكير فيها ، بل يمرّ
بها مرّ الكرام ؛ وهؤلاء ليسوا خيراً من سالفيهم . . .
ومنهم من تقع الحوادث تحت بصره ـ وقد يكون
من بينها مايعنيه أو يعنى بلاده ـ فلا يسعه إلا أن يتألم ،

دون أن يعمل عملاً إيجابياً لإنقاذ نفسه أو بلاده ؛ وهؤلاء وإن لم يكونوا ، فى الواقع ، خيراً من سالفيهم ، فإنه قد يكون فى الوسع الإفادة منهم يوماً ما . . . ومن الناس من تقع الحوادث تحت بصره ، فلا يلبث أن يسجلها فى خاطره ، وأن يعمل ، بكل ماوسعت قدرته ، على مقاومة مايستوجب المقاومة منها ، وتأييد مايستحق التأييد ؛ وهؤلاء ينشأ العظماء من بينهم ، أولئك الذين يبنون مجد بلادهم بكل ماملكت أيمانهم .

* * *

ولقد مرّ بى حين من الدهر تجرّعت فيه من كؤوس الشقاء ، وقاسيت من صنوف الآلام ، مالم أكن أحسب أنه سيترك فى نفسى من الأثر مايجعلها أشبه شيء بالمرصد : لاتترك مما يقع حولها كبيرة ولاصغيرة إلا سجّلتها ، ولا تدع شاردة ولا واردة إلا أحصتها ؛ ذلك لأن الآلام من شأنها أن ترهف الحس ، وأن

تهذّب النفس ، بل إنها لتجلوها فتجعلها كالمرآة الصافية... وإنه لمن العسير أن تَمُدّ من البشر أولئك الذين يخوضون معترك الحياة فيقاسون فيه من الآلام مالو أصاب الجبال بعضٌ منه لاندكّت الجبال دكًّا ، ثم إذا أنت لقيتهم بعد ذلك ، ألفيتهم كما كانوا : جامدى الحس ، غلاظ الأفئدة ، خشنى الطباع .

وفى الحق إن ما قاسيته من الآلام ، وما أشاهده كل يوم مما يقاسيه منها سواي ، وما شاهدته ـ كذلك ـ مما عاناه منها وطنى ، وما تحمّله من الشدائد صابراً ، غير هيّاب ولا وَجِل : كل ذلك كان له أعظم الفضل فى أن يترك فى نفسى من الأثر ما مكّننى من تدوين بعض ما أوحاه إليّ خاطرى فى هذا الكتاب .

وإنى لأظلم نفسى لو ادّعيت أنى دوّنت فى هذا الكتاب كل ما سجّلته نفسى من شوارد الحياة . . .

ومن الحق أن أقول إنه ليس فى هذا الوجود من يستطيع أن يدّعي بحقٍّ أنّ فى وسعه أن يدوّن كل ما يقع حوله من حوادث الكون؛ ذلك لأنها أجلّ من أن يستطيع إنسان بمفرده ـ بالغةً ما بلغت قدرته ـ أن يدوّنها جميعاً ، أو أن يحاول لها حصرا .

على أنى أرجو ألّا أكون قد جاوزت الحقيقة فيما استطعت إلى تدوينه هنا سبيلا ، كما أرجو أن يكون الله ، جلّ شأنه وتعالت قدرته ، قد وفّقنى إلى أن أردّ إلى الانسانية بعض ما لها من الفضل عليّ .

* * *

ولقد عنّ لى أن أضمّن هذا الكتاب شيئاً من الشعر المنثور ، تناولت فيه بعض نواحي الوصف والغزل والوطنية والاجتماع ، وما إلى ذلك مما تتضمّنه ، عادةً ، أغراض الشعر المنظوم .

وإنى لأرجو أن أكون قد وُفقت بعض الشيء في هـذا السبيل ؛ سيّما وأنى أميل إلى الاعتقاد بأنى قد طرقت بهـذا النوع من الكتابة باباً غير مطروق ، فلا غرو أن وجدت طريقه أمامى من الوعورة بمكان .

وإنه لمن دواعى سعادتى أن أبدأ هـذا الكتاب بتلك القطع الثلاث من الشعر المنثور ، التى تقدمت فيها بالتهنئة إلى مقام مولاى الملك المحبوب فى أسعد المناسبات . . . جعل الله عهد « الفاروق » عهد مجد وسؤدد لهذا الوطن العزيز ؟

علي سعد مراد

القاهرة فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩

موضوعات الشعر المنثور

موضوعات الشعر المنثور

خواطرى

تبدأ فى صفحة (١٥٦) .

تصحيح الخطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	٥	صيغوا	صوغوا
٤٩	١	شده	شدّة
٥٦	٣	ضوائك ، أو لأن	أضوائك ، ولأن
٧٠	٥	.. !	.. ؟
٧٥	١٣	سيح	الفسيح
٨٣	١١	أحرفه	حروفه
١١٩	٥	كما	كيما
١٣٢	٧	بأحرف	بحروف

مِنَ الشِّعرِ المَنثور

ليست الحرية أن يملك الناس الأرض وما عليها ؛
إنما الحرية أن يعيش الناس أحراراً ، وأن يتركوا
سواهم من البشر يعيشون ، كذلك ، أحرارا .

علي محمد مراد



حضرة المحترم علي سعد مراد افنـــدى

رفعت الى السدة الملكيـــة مجموعة المقالات الثلاث اللاتـــــى جاشت بها عواطفك فى عيد تتويج جلالته البهيج ، وحفل عرسه الكريـــم ، وعيد ميلاده الســـــعيد .

وانى ليسرنى أن أبلغك رضاء مولاى السامى لما زخرت به تـــلك المقالات من نبل العاطفة ، ودقة الحس . ذلك الى عذوبة ألفاظهـــا ، وجمال زخرفها ، وحسن تنسيقهـــا .

وتفضل بقبول وافر تحياتي .

ناظر
خاصة جلالة الملك

مراد محسن
١٣٥٥

الاسكندرية فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٨

الإهداء

إلى الملك العظيم النبيل : إلى مولاى صاحب الجلالة « فاروق الأول » ، رمز الوطنية الحقة والانسانية الكاملة ... حفظه الله ورعاه !

علي محمد مراد

تهنئة الشعر المنثور بتتويج « الفاروق »

أيها المليك !

مرحباً بمقدمك[1] السعيد . . !

كانت الشمس كاسفة ، وكان القمر خاسفاً ،
لاحتجابك عنا ، فلما هللت علينا أشرقت الشمس
وتلألأ نور القمر .....

كم كانت قلوبنا تهفو إليك وأنت غائب عنا ،
تحوطك بولائها الصادق وحبها الأكيد . . !

فهل تدرى مبلغ حبنا وولائنا ، يامولاى . . ؟
سل فؤادك ، يامولاى ، إنه يدرى .....
ألا سعدَتْ أيامك ، أيها المليك المحبوب . . !

* * *

---

(١) إشارة إلى عودة المليك من أوربا لهذه المناسبة السعيدة .

هل رأيت إلى السماء ، يامولاى ، كيف أخذَتْها الغيرة مما شاهدَتْ من زينة الأرض فى عيد تتويجك السعيد . . ؟

أبت السماء ، يامولاى ، إلا أن تقيم هى الأخرى معالم الفرح ، فلبست فى تلك الليلة السعيدة أزهى حللها . . . . .

لبس القمر — ليلتئذ — ثوب العرس ، وكانت النجوم أجمل وأزهي ماتكون الوصيفات .....

وأبى شعبك الوفىّ الأمين ، يامولاى ، إلا أن تكون زينته فى تلك الليلة السعيدة أزهى وأبهى من زينة السماء ، فكان له ما أراد . . . . .

فهل تدرى مبلغ حبنا وولائنا ، يامولاى . . ؟

سل فؤادك ، يامولاى ، إنه يدرى . . . . .

ألا سعِدَتْ أيامك ، أيها المليك المحبوب . . !

* * *

وهل رأيت إلى الحمامة ، يامولاى ، كيف هبطت على مركبك الميمون . . ؟

ترُى : هل علم الشعراء أن الحمام هو رسول الحب لهذا الأنام . . ؟

سل الحمامة ، يامولاى ، تنبئك أنها هامت بحبك قبل أن تلدها أمها ، وأنها أكنّت حبها لأنها استحيت أن تبوح به لمولاها ... حتى إذا ما راعها ذهول الشعب من شدة الفرح بتتويجك الميمون ، فأذهلها ، جاءت ، وموجات الفرح تهز أعطافها ، تعلن إليك مكنون حبها ، وتؤكد لك صادق ولائها . . . مثلما أعلن حبه وأكّد ولاءه شعبُك الأمين .....

فهل تدرى مبلغ حبنا وولائنا ، يامولاى . . ؟

سل فؤادك ، يامولاى ، إنه يدري .....

ألا سعدت أيامك ، أيها المليك المحبوب . . !

***

وهل رأيت إلى عطفك ، يامولاي ، كيف جمع حولك القلوب ، وإلى عدلك كيف أعاد عهد « الفاروق » . . ؟

إن ذلك العجوز فى حقله ، يامولاى ، الذى نفحته من فيض إحسانك وكرمك ، ليلهج لسانه بالحمد والشكر والثناء . . . وإنه للسان الفلاحين أجمعين ، بل إنه للسان شعبك الوفىّ الأمين . . . . .

وإن ذلك العامل الذى حملته على راحتيك الكريمتين ، يامولاى ، بدافع من عطفك وبِرّك ، ليلهج لسانه بالحمد والشكر والثناء . . . وإنه للسان العمال أجمعين ، بل إنه للسان شعبك الوفىّ الأمين ...

فهل تدري مبلغ حبنا وولائنا ، يامولاى . . ؟

سل فؤادك ، يامولاي ، إنه يدري . . .

ألا سعدَتْ أيامك ، أيها المليك المحبوب . . !

* * *

أيها الملك الصالح العادل : إن شعبك المجدود ليتيه زهواً على شعوب العالمين بعهدك السعيد وأيامك الغرّاء . . . .

وإنه ليفديك بأرواحه ، ويحرسك بأعين من نور السماء . ...

وإنه ليتوسل إليك أن تتقبل منه خالص الحب وصادق الولاء .....

وإنه ليضرع إلى الله العليّ أن يحفظ ذاتك الكريمة الشمّاء .....

ألا سعدَتْ أيامك ، أيها المليك المحبوب . . !

* * *

تهنئة الشعر المنثور بزفاف «الفاروق»

أيها العيد!

أبشر وتهلّل ، لزواج مليكنا المحبوب . . !

واملأ الدنيا فرحاً بهذا الزواج الميمون . . !

وقل للسماء : زغردى . . !

وقل للملائكة : اطرَبى . . !

وقل للشمس : تهلّلى . . !

وقل للنجوم : تلألأى . . !

وقل للقمر : تِهْ دلالا . . !

وقل للقلوب : ارقصى . . !

وقل للطيور : غرّدي . . !

وقل للغصون : ترنّحي . . !

وقل للرياض : أزهرى . . !

وقل للنيل : املأ جوانب الوادى بضحكك العالى . . !

وقل للطبيعة : فيضى سحراً على هذا الكون . . !

وقل للشعراء : صيغوا قلائدكم من اللؤلؤ والمرجان . . !

وقل للغيد : رفقاً بقلوب أرهفها حب المليك . . !

وقل لهذى جميعا : مهما قلّبتِ الطرف إلى الخلف
أو إلى الأمام ، علّك أن تجدى
لى نظيراً بين الأعياد ، فسيرتدّ
طرفك خاسئاً وهو حسير . . !

إلهى ! أىّ عيد هذا الذي عمّ الدنيا بأسرها . . ؟
وأىّ فرح هذا الذى غمر القلوب . . ؟

وأيّ سحر هذا الذى أودعته مليكنا المحبوب . . ؟

سعدْتَ يا « فاروق » بزواجك الميمون . . !

وافرحي يا « مصر » بالعيد السعيد . . !

* * *

أيها العيد : أنظر إلى المليك ، وقد ارتدى حـلة

عرس ، كيف أحاط به الملائـكة ـ مهـلّلين مكبّرين ـ

، حللهم الناصعة البياض . . !

وانظر إلى المليـكة ، وقد ارتدت ثوب الزفاف ،

كيف أحاطت بها الحور العين ـ فرحات مستبشرات ـ

، أزهى الثياب . . !

وانظر كيف كلّلت جبينيهما تلك الهالة البيضاء

ن نور السماء . . !

وانظر إلى الثريات كيف تلألأت فى جنبات

ادي ، وإلى النجوم كيف زيّنت وجه السماء ، وقد

أشعّ عليها « فاروق » نوره وسناه . . !

لست أدرى : أهذى ليلة زفاف المليك ، أم هى ليلة عرس فى السماء . . !

سعدتَ يا « فاروق » بزواجك الميمون . . !

وافرحي يا « مصر » بالعيد السعيد . . !

* * *

أيها العيد : خبّرنى ، أأنت عيد زفاف المليك ، أم أنت عيد البِشر والهناء ، أم أنت عيد البر والإحسان ، أم أنت عيد اليسر والرخاء ، أم أنت عيد اليمن والإقبال ، أم أنت عيد الكرامة والحرية لهذا الشعب الوفىّ الأمين . . ؟

لأنت هذه الأعياد كلها قد اجتمعت فى هذا اليوم السعيد . . !

أيها العرايا : اكتسوا من فضل المليك ،

وألبسوا أولادكم أزهى الثياب ، فاليوم عيـد زفافه الميمون . . !

أيها الجائعون : كلوا واشبعوا من فيض المليك ، وأطعموا صغاركم أشهى الطعام ، فاليوم عيد زفافه الميمون . . !

أيهـا البؤساء : غنّوا وارقصوا ، وافرحوا واطرَبوا ، فقد اكتسيتم وشبعتم من خير المليك البارّ الـكريم . . !

وأنتم ياصغار : ارقصوا وهلّلوا ، واملأوا الدنيا بضجيج الفرح ، فاليوم عيـــد زفاف مليـكنا المحبوب . . !

وأنتم يارفاق : تـكلموا كيف شئتم ، وامرحوا حيث شئتم ، فأنتم اليوم فى ظل المليك وحماه . . !

سعدْتَ يا « فاروق » بزواجك الميمون . . !

وافرحي يا « مصر » بالعيد السعيد . . !

* * *

أيها العيد : خبّرنى ، وإنك لخير شاهد على ماتكنّه قلوبنا من حب وولاء ، هل أجمعَتْ ، يوماً ، قلوب رعية على حب مليكها مثلما أجمعَتْ قلوبنا على حب « فاروق » . . ؟

أيها المليك المحبوب : لئن كان هذا الزمان ، بحقٍّ ، زمن المعجزات ، فإنها لمعجزة المعجزات تلك التى عقدت على حبك كل القلوب . . !

من لى بعينين أرى بهما الكون كله يرتدى اليومَ حلّة العيد البهيج . . ؟

أيها الفلاح الوفىّ الأمين : إنى لأرى الآن قلبك الوديع يرقص من شدة الفرح ، حتى ليكاد أن يطير من بين جنبيك . . !

سعدْتَ يا « فاروق » بزواجك الميمون . . !

وافرحي يا « مصر » بالعيد السعيد . . !

***

ها أنذا أرى « أبا الهول » يبتسم . . !

إنه ليكاد ينطق من شدة الفرح . . !

وها هى «الأهرام» تكاد تطير من فرط الجذل ..!

وأجـــــدادنا الأمجاد ، ها هم يتحركون فى مقابرهم . . !

يريدون أن يأتوا ليشاطرونا ابتهاجنا . . !

« فاروق » ، يازين الملوك : أىّ حب هـذا الذى تـكنّه لك القلوب . . ؟

إنه فيضٌ من السماء .....

هو نورٌ أودعـه الله قلوب شـــعبك الوفىّ الأمين .....

بل هو نورٌ أودعه الله قلوب الناس أجمعين .....

لقد أتاك نبأ الشعوب الأخرى ، يامولاى ، حيث انعقدت على محبتك القلوب .....

هم يشاطروننا اليومَ أفراحنا . . . .

سعدْتَ يا « فاروق » بزواجك الميمون . . !

وافرحي يا « مصر » بالعيد السعيد . . !

* * *

غرّد يا بلبل الزمان واصدح ، وأطربنا بصوتك الحنون . . !

واشربوا ، يارفاق ، نخب مليكنا المحبوب . . !

وافرح يادهر ، فطالما أهمّتك الأشجان . . !

وأقبل ياطالع السعد واليمن والإقبال . . !

وأدبرى ياهموم ، فطالما عنّينا الأفراح . . !

وأنت يادنيا : أبشرى وتهلّلى ، فاليوم عيد زفاف مليكنا المحبوب . . !

سعدْتَ يا « فاروق » بزواجك الميمون . . !

وافرحى يا « مصر » بالعيد السعيد . . !

* * *

أيها العيد الفريد : كم مرّت بنا أفراح ، وكم لنا

كل عام أعياد . . !

لكنك أنت فردٌ علم بين الأعياد ، شأن الدرّة

جبين التاج . . .

بل أنت « عصا موسى » قد تلقفت تلكم

عياد . . .

غنّ للمليك ، يا عيد ، وأطرب . . !

واملأ الدنيا فرحًا وهناء . . !

وأدِر الكؤوس ، ياعيد ، علينا . . !

فأنت ، ياعيد ، سيد الأعياد . . !

سعدْتَ يا « فاروق » بزواجك الميمون . . !

وافرحي يا « مصر » بالعيد السعيد . . !

* * *

تهنئة الشعر المنثور بعيد ميلاد « الفاروق »

أيها العيد!

لست أدرى أيّكما اليومَ أخاطب ، أنت أو عيد الأضحى[1] ، وكلاكما نورٌ وهدًى ورحمةٌ للعالمين ..!

هو ذا عيد الأضحى ، نور للاسلام ، وهدًى ورحمة للمسلمين .....

وهذا أنت عيد ميلاد « الفاروق » ، نورٌ شعَّ على الوادى ، بعد أن خيّم الظلام على ربوعه دهراً بعد دهرٍ وجيلاً بعد جيل .....

أنت نورٌ أرسله الله لهذا الشعب الوديع وهو تائه فى دياجير الحادثات ، وقد ادلهمّت حوله الخطوب ،

---

(١) كان من يُمن طالع المليك أن اجتمع أول عيد لميلاد جلالته بعد تولّيه العرش مع عيد الأضحى المبارك فى يوم واحد .

فهداه أحسن النجدين ، وسار به إلى سواء السبيل .....

نورٌ بعث الله به ليكون نبراساً للعالمين ، وهدًى للضالين ، ورحمة للبائسين ، وأملاً لليائسين ، وحاجة للمعوزين ، وعطاء للسائلين ، وغيثاً للمحرومين ، ونصراً للمسلمين ، وإعلاء لشأن الدين . . . .

تيهي يا « مصر » وازهى « بفاروق » أمير المؤمنين . . !

واهنأي بعيد ميلاده الميمون . . !

* * *

اليومَ يقف المسلمون ، من مشارق الأرض ومغاربها ، على « عرفات » ، يغتسلون من آثامهم ويتطهرون من أدرانهم ، ويتوجهون إلى الله عزّ وجلّ ، بقلوب خاشعة ، أن يتقبل توبتهم ويغفر لهم ما تقدم وما تأخر من ذنوبهم ، فيتقبل الله دعاءهم ، ويعودون إلى

أوطانهم أطهاراً كيوم ولدتهم أمهاتهم ....

ألستَ يا عيد ، إذن ، نوراً للاسلام ، وهدى ورحمة للمسلمين ..؟

واليومَ يشرق « الفاروق » ويكتمل وجه البدر ، فتهلّل النجوم وتتيه السماء ، ويفترّ ثغر الأرض عن ابتسامة البشر والفرح والهناء ....

اليومَ عيدان : عيد «الفاروق» ، وعيدالفداء ....

واليومَ نوران : نورٌ في الأرض ، ونورٌ في السماء ....

تيهى يا « مصر » وازهى « بفاروق » أمير المؤمنين ..!

واهنأى بعيد ميلاده الميمون ..!

***

اليومَ يفرح « الفاروق » بعيد المسلمين . . . .

واليومَ يفرح المسلمون بعيد « الفاروق » أمير المؤمنين . . . .

هل من آية تدلكم على حب الله « للفاروق » أعظم من اجتماع هذين العيدين المباركين فى هذا اليوم السعيد . . ؟

أيها المواطنون : إن فى اجتماع هذين العيدين المباركين فى يوم واحد لآية أخرى تدلكم على أن السعادة التى كنتم بها توعدون قد تجمعت كلها لكم فى عهد هذا المليك الصالح الكريم . . !

اغترفوا منها ، إذن ، وانهلوا ، ومتّعوا أنفسكم بها ماشئتم ، وادّخروا منها لأولادكم وأحفادكم مااستطعتم ، فلن يجود الزمان يوماً كما جاد عليكم بطلعة هذا المليك البارّ الرحيم . . !

تالله لقد حقّ لكم أن تباهوا اليومَ شعوب العالم أجمعين باجتماع هذين العيدين المباركين فى هذا اليوم السعيد ، فقد عمّت لكم اليوم سعادة الدنيا وسعادة الدين . . !

تيهى يا « مصر » وازهى « بفاروق » أمير المؤمنين . . !

واهنأى بعيد ميلاده الميمون . . !

***

أين الظلام الذي خيّم على ربوعكم . . ؟
أين الغيوم التى تلبّدت فى سمائكم . . ؟
أين الأغلال التى كبّلت أيديكم . . ؟
أين الغشاوة التى رانت على أبصاركم . . ؟
أين الذلة التى ضُربت على رقابكم . . ؟

أين البؤس الذى عشّش فى دياركم . . ؟

هو « الفاروق » ما إن أشرق وجهه على هـذا الوادى حتى تبدلت ظلماته نوراً وغيومه صحواً وصفاء ، وتـكسّرت الأصفاد ، وتحرّرت الأعناق ، وزالت الغشاوة عن الأبصار ، وغدت ذلة الشعب عزاً وبؤسه سؤدداً ومجداً . . . .

هو ذلك المحيّا المشرق الجميل قد استمدت منـه الشمس إشراقهـا وضياءها ، وأخذ عنـه البدر نوره وسناه . . . .

هو ذلك القلب الرحيم قد اتسع عطفـــــه لهذه الملايين ، فتفتّحت له قلوب هذه الملايين . . . .

هو تلك الصورة المحبّبة إلى الفؤاد قد انطوى عليها كل فؤاد . . . .

تيهى يا « مصر » وازهى « بفاروق » أمير المؤمنين . . !

واهنأى بعيد ميلاده الميمون . . !

* * *

أيها العيد العظيم : تتم للناس يوم العيد فرحة واحدة ، أما نحن فقد تمت لنا اليوم فرحتان واجتمع لنا فى هذا اليوم السعيد عيدان مباركان . . !

أليس هذا فأل السعادة والهناء ، وبشير اليمن والرخاء . . ؟

أيها المليك الصالح المحبوب : اهنأ ، وطب ، وقر عيناً ، برضوان الله عليك ومحبة الرعية لك . . !

أحقاً أن هذ اليوم ، يا مولاى ، هو عيد ميلادك الميمون . . ؟

بل هو عيد ميلاد « مصر » بأسرها ، فقد كتب

الله لها حياة سعيدة موفقة منذ أن بزغ فى سمائها نجمك السعيد . . !

تيهى يا « مصر » وازهى « بفاروق » أمير المؤمنين . . !

واهنأى بعيد ميلاده الميمون . . !

***

مهداة إلى من أوحت إلىّ كتابة الشعر المنثور

أيتها الوردة !

جمالكِ من جمالها ، وحسنك من حسنها ، وبهاؤك من بهائها ، وفتنتك من فتنتها ، وإغراؤك من إغرائها ، ونعومة ملمسك من نعومة ملمسها ، وزكاء طيبك من زكاء طيبها ، ولونك الأرجوانى الجميل من خفر خدّيها ...

أما أنتِ فأسمّيك « الوردة » . . !

وأما هى ، فماذا أسمّيها . . ؟

ألا تعرفين . . ؟

أجيبى ، أيتها الوردة . . !

* * *

لمستْكِ يدها الرقيقة قبل أن تلمسك يدى . . . .

أما أنا فقد بحت لك بكل شىء .. ! .

وأما هى ، فهل باحت لك بشىء . . ؟

أجيبى ، أيتها الوردة . . !

* * *

حينما ضمّتْكِ إليهـا لمستْ شفتاها خـدّك الناعم الجميل ، كما لمسته شفتاى حينما ضممتك إلىّ . . . .

أما أنا فقد أشفقت عليه من حرارة أنفاسها . . !

وأماهى ، فهل أشفقتْ عليه من حرارة أنفاسى . . ؟

أجيبى ، أيتها الوردة . . !

* * *

أمرّ فى الطريق فأراكِ ، مثلما أمرّ فأراها . . . .

أما أنتِ فإن طلبْت منك الوصل لا تبخلين . . !

وأما هى ، فمن يدرى . . ؟

ألا تعلمين . . ؟

أجيبى ، أيتها الوردة . . !

* * *

كلما هبّ النسيم يزداد قلبي عطفاً عليك وحنوًّا ،
مثلما يزداد عطفاً عليها وحنوًّا . . . .
أما أنتِ فتبادلينني عطفاً بعطف وحنوًّا بحنو . . !
وأما هي ، فمن يدري . . ؟
ألا تعرفين . . ؟
أجيبي ، أيتها الوردة . . !

* * *

أُحبكِ كما أحبها ، وأشتاق إليك كما أشتاق إليها . . . .
أما أنتِ فتبادلينني حباً بحب وشوقاً بشوق . . !
وأما هي ، فمن يدري . . ؟
ألا تدرين . . ؟
أجيبي ، أيتها الوردة . . !

* * *

أيتها الوردة المحبوبة : لِمَ لا تجيبين . . ؟
صمتكِ من صمتها ، وسكوتك من سكوتها . . . .

آه لو تعلمين أن صمتك قاتلي . . !

تُرى : هل تشفقين . . ؟

أجيبي ، أيتها الوردة . . !

***

أيها القلب !

حنانا بسجينك الوديع . . !

أتدرى كيف تسلل إليك ، أيها القلب ، ومتى ..؟

أغلب الظن أنك لا تدرى . . !

ولعل هذا هو سر شقائك . . !

ولـكن حنانا ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

سل سجينك ، أيها القلب : أكان رفيقا فى تسلله

إليك كما أنت رفيق به الآن . . ؟

أغلب الظن أنه لا يدرى . . !

ولعل هذا ، أيضا ، هو سر شقائك . . !

ولـكن حنانا ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

ثم سل سجينك ، أيها القلب : أيحسّ السعادة

في سجنه كما تحسها أنت في وجوده .. ؟

أغلب الظن أنه لا يدري .. !

ولعل هذا ، أيضا ، هو سر شقائك .. !

ولكن حنانا ، أيها القلب الرقيق .. !

* * *

ثم سل سجينك أيضا ، أيها القلب : أمستطيع هو أن يتحمل حرارة لهبك كما تستطيع أن تتحملها أنت .. ؟

أغلب الظن أنه لا يدري .. !

ولعل هذا ، أيضا ، هو سر شقائك .. !

ولكن حنانا ، أيها القلب الرقيق .. !

* * *

ثم سله أيضاً ، أيها القلب : أيستطيع صاحبك أن يتسلل إلى قلبه كما استطاع هو أن يتسلل إليك .. ؟

أغلب الظن أنه لا يدري .. !

ولعل هذا ، أيضاً ، هو سر شقائك .. !

ولـكن حنانا ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

ثم سل سجينك ، أيها القلب : أحقًا أنه كان قد ضاق بالحرية ذرعًا كما يضيق بها اليوم صاحبك . . ؟

أغلب الظن أنه لا يدري . . !

ولعل هذا ، أيضا ، هو سر شقائك . . !

ولكن حنانا ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

ثم سله ، أيهـــا القلب : إذا ما ضاق ذرعًا بهذا السجن يومًا ما ، ولم يطق صبراً على حرارة لهبه ، وعاوده الحنين إلى الحرية ، أمستطيع هو أن يمزقك إربًا لكى يفرّ من نار سجنه إلى نور الحرية . . ؟

أغلب الظن أنه لا يدرى . . !

ولعل هذا ، أيضا ، هو سر شقائك . . !

ولـكن حنانا ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

ثم سله أيضا ، أيها القلب : إذا كان يستطيع أن يفعل ذلك ، فهل يكون رفيقًا فى تمزيقك كما أنت رفيق به الآن . . ؟

أغلب الظن أنه لا يدرى . . !

ولعل هذ ، أيضا ، هو سر شقائك . . !

ولـكن حنانا ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

ثم سله كذلك ، أيها القلب : إذا فعل ذلك ـ ترفّق أو لم يترفق ـ وكان من العدل أن يفعل ذلك ، أيكون من الرحمة أن يفعله . . ؟

وهلاّ يعلم سجينك الوديع ، أيها القلب الرقيق ، أن الرحمة فوق العدل . . ؟

أغلب الظن أنه لا يدرى . . !

ولعل هذا ، أيضاً ، هو سر شقائك . . !

ولكن حناناً ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

أيها القلب البائس الحزين : خبّر سجينك الوديع أنه إذا شاء أن يمزقك إرباً لكى يفرّ من نار سجنه إلى نور الحرية ، فإن صاحبك ليشتهى أن يُحرم نور الحرية وأن يتسلل إلى قلبه لكى يصلى ناره حتى يذوب عن آخره . . !

تُرى : هل يفعل ذلك ، حقاً ، سجينك الوديع . . ؟

أغلب الظن أنه لا يدرى . . !

ولعل هذا ، أيضاً ، هو سر شقائك . . !

ولكن حناناً ، أيها القلب الرقيق . . !

* * *

أيها القمر !

كان النسيم عليلاً لمّا خطر لها ، فى ذلك المساء الجميل ، أن تتهادى على شاطىء الغدير ، لتمتع ناظريها بنورك البديع والنجوم تكتنفك كما تكتنف العروسَ وصيفاتُها ليلة الزفاف ، ولم تكن تدرى أن السماء ، ليلتئذ ، قد ثكلتك . . .

فهل كنت محتجباً ، حقاً ، أيها القمر . . ؟

إنها هي التى تدرى . . .

فسلها تنبئك ، أيها القمر الجميل . . !

***

نظرتْ إلى السماء لتجلو طلعتك فانعكس نورها على صفحتها الزرقاء ، وتلألأ خياله على صفحات الغدير الرقراقة الصافية ، فبدا للناس ـ ما بينهما ـ جمالها الساحر الفتان . . .

فهل كنت محتجباً ، حقاً ، أيها القمر . . ؟

إنها هى التى تدرى . . .

فسلها تنبئك ، أيها القمر الجميل . . !

* * *

اطمأن العشاق إلى احتجابك عنهم فاسترسلوا فى العناق ولم يعوا ، فلما هتكهم نورها لم يدر الناس ما هؤلاء :
أهم بشر مثلهم أم قطعة من الفردوس . . !

فهل كنت محتجبا ، حقا ، أيها القمر . . ؟

إنها هى التى تدرى . . .

فسلها تنبئك ، أيها القمر الجميل . . !

* * *

لما زاد لهفى عليك حاولت الوصول إليك فرددتنى خائبا . . .

فلما رأيتها ، فى ذلك المساء الجميل ، فُتنت بحسنها ، وحاولت الوصول إليها فردّتنى خائبا . . .

فهل كنت محتجبا ، حقا ، أيها القمر . . ؟

إنها هى التى تدري . . .

فسلها تنبئك ، أيها القمر الجميــل . . !

***

يسمّونك « قمراً » لأنك أنت القمر ...

أما هي فقـد كنت أسمع عنها ولا أعرف ماذا يسمّونها ...

فلما رأيتها ، فى ذلك المساء الجميــل ، بهرنى جمالها فسمّيتها « قمراً » . . .

فهل كنت محتجبا ، حقا ، أيها القمر . . ؟

إنها هي التى تدرى ...

فسلها تنبئك ، أيها القمر الجميــل ..!

***

أيها القمران : أحب أحدكما ، كما أعشق الآخر ، فبأى آلاء ربكما تـكذّبان . . ؟

فى ذلك المساء الجميل لم أدر ما نفسى : أكنت إنسانا
أم طائراً يعوزه جناحان ..!
أمّا أنتَ فقد كنتُ أتطلع إلى السماء فلا أراك ..!
وأما هى فقد كانت بجانبى ..!
فهل كنت محتجبا ، حقا ، أيها القمر .. ؟
إنها هي التى تدرى ...
فسلها تنبئك ، أيها القمر الجميـل ..!

***

أيتها الروح !

أرانا قساة عليك ولك ظالمين . . !

ألسنا بك نحيا وأنت بنا تشقين . . ؟

خبريني ، أيتها الروح المعذبة . . !

* * *

نحب فتحبين كما نكره فتكرهين ، ونسعد فتسعدين كما نشقى فتشقين . . .

لست أدرى : أأنت تريدين أن تعيشى حرة فنأبى إلا أن نخضعك لأهوائنا ، أم أنت بعذابنا تهيمين . . ؟

خبريني ، أيتها الروح المعذبة . . !

* * *

مالك ولهذا السجن الذى نسمّيه جسداً . . ؟

لست أدرى : أغيرَ الحرية تعشقين ، وفى غير فضاء الله الفسيح تستقرين . . ؟

خبريني ، أيتها الروح المعذبة . . !

* * *

كم حاولتِ أن تطيري إلى الملأ الأعلى لتلتقي بالروح
التي تحبّين فحال الجسد بينك وبين ما تشتهين . . !
ألم أقل لك إننا بك نحيا وإنك بنا تشتمين . . ؟
خبريني ، أيتها الروح المعذبة . . !

* * *

عذوبتها وخفتّها ورقة شمائلها سلبتْكِ لُبَّك ونُهاك
فودَدْتِ لو شاطرتْكِ الجسد الذي تسكنين . . .
كم من عاشق ولهٍ أضلّه غرامه بها فودّ لو يتخذ
من مخدعها محراباً يؤدي فيه شعائر الدين . . !
فهل أنت تجهلين أم تتجاهلين . . ؟
خبريني ، أيتها الروح المعذبة . . !

* * *

أيتها الروح الحائرة : إلامَ تتعذبين . . ؟

أما كفاكِ أن الجسد قد أصابه الهزال ، كما نال

منك الضنى والسّقام . . ؟

جُدْتِ ايها بنفسك وبكل ما تملكين ، فبماذا جادت

عليك الروح التى تحبين . . ؟

تالله لقد جفّ قلبى وشحّتْ بالدموع محاجرى ،

فحتى ترحمين . . ؟

خبرينى ، أيتها الروح المعذبة . . !

* * *

أيها القبر !

مهلاً على عروسك الحسناء ، ورفقاً بغادتك الهيفاء . . !

كنت أحسبك رحيماً عادلاً فأجد فى عدلك ورحمتك عزاء عن ظلم الحياة وقسوتها ، فاذا أنت قاسٍ كل القسوة ، ظالم غاية الظلم . . !

من يدرى : فربما كنتَ رحيماً عادلاً ، وكانت عروسك هى القاسية الظلوم . . !

ألا رفقاً بها ، أيها القبر الحنون . . !

* * *

أنت قاسٍ لأنك أبيت إلا أن تُزَفّ إليك عروسك فى نفس اللحظة التى كانت ستُزَفّ فيها إلى محب سلبته العقل والروح . . !

وظالم لأنك احتضنت ـ دون أن يؤذن لك ـ عروساً خلّفتْ من بعدها عاشقاً صيّره الحب هيكلاً ، وكان فى وسعك ـ لو أردت أن تكون عادلا ، أيها القبر ـ أن تحتضن العروسين معاً ، أو أن تترك العروس وتحتضن ذلك العاشق الذى أضناه الحب وعلّمه الحنين إليك . . !

من يدرى : فربما كنتَ رحيمًا عادلاً ، وكانت عروسك هي القاسية الظلوم . . !

ألا رفقاً بها ، أيها القبر الحنون . . !

* * *

وأنت قاسٍ لأنك استكثرت السعادة على هذا المحب الذى أراد أن يعانق — بعد طول الصبر والانتظار — حبيبة طالما حنّ ذراعاه إلى عناقها ، فإذا ذراعاه يعانقان الهواء . . !

وظالم لأنك اغتصبت منه حبيبة طالما تجرّع فى هواها كؤوس الذل والهوان . . !

من يدرى : فربما كنتَ رحيماً عادلاً ، وكانت عروسك هى القاسية الظلوم . . !

ألا رفقًا بها ، أيها القبر الحنون . . !

***

أيهما أنصع بياضًا : هـذا الكفن الذى يغطّيها ، أم جسمها الغض الرطب الجميل . . ؟

وأيهما أسطع نوراً : هذا القمر الذى يحيّيها ، أم وجهها الحسن الفاتن الجميل . . ؟

وأيهما أشدّ إغراء : هـذه الورود التى تـكتنفها ، أم خدها الأحمر القانىء الجميل . . ؟

وأيهما أرشق قوامًا : غصن البان ينحنى لمرآها ، أم عودها الحلو المياس الجميل . . ؟

أنت قاسٍ لأن ذراعيك ليسا رحيمين بهذا الجسم
ناعم الرقيق . . !

وظالم لأنك تستحلّ ـ عنوة وقسراً ـ هاتين
شفتين القرمزيتين اللتين لم تمسسهما قطّ شفتان . . !

من يدرى : فربما كنتَ رحيماً عادلاً ، وكانت
روسك هى القاسية الظلوم . . !

ألا رفقاً بها ، أيها القبر الحنون . . !

* * *

قاسية لأنها كانت تعرف مقدار ولعه بها ولهفه
ليها ولم تأبه لأنينه ولا لتفتّت أحشائه ، بل ودّعته
ظرة ازدراء واستخفاف ، كأنما شاءت ـ حتى فى هذه
لحظة الرهيبة ـ أن تتشفى من غريم كل ما اقترفت
اه أنه أحبها وأحب كل ما فيها ، حتى تَرَدُّدَ
فاسها . . !

وظلوم لأنها سلّمت لك نفسها وحدها ، وكان فى وسعها ـ لو أرادت أن تكون عادلة ، أيها القبر ـ أن تصطحب معها عاشقاً طالما ارتشف من كأس هواها حتى اشتكت الكأس من كثرة ما ارتشفت شفتاه . . !

ألستَ رحيماً عادلاً ، أيها القبر ، وعروسك هى القاسية الظلوم . . ؟

ألا رفقاً بها ، أيها القبر الحنون . . !

***

أيها القبر الكريم : ترى ، كيف حال عروسك اليوم . . ؟

ألا تزال ذات الجسم الغض الرطب الجميل . . ؟

ألا تزال ذات الوجه الحسن الفاتن الجميل . . ؟

ألا تزال ذات الخد الأحمر القانىء الجميل . . ؟

ألا تزال ذات العود الحلو المياس الجميل . . ؟

قل لغادتك الهيفاء ، أيها القبر الـكريم ، إن عاشقها
ما زال على وفائه القديم ، ينتظر على أحرّ من الجمر ،
وقد برّح به الشوق ، أن تعود لتزفّ إليه ، أو أن تأذن
فيرقد إلى جانبها . . !

ألا رفقا بها ، أيها القبر الحنون . . !

****

أيها الطائر !

أودعتُك مكنونَ سرّها ، فهل أنت لعاشق مضنى

تبوح .. ؟

وعلَّمتُك لغة الهوى ، فهل عرفتَ أن العاشق بالسرّ

لايبوح .. ؟

أناتُ قلبك تشبه أنات قلبه ، فهل أنت ـ ياترى ـ

مع العاشق تنوح .. ؟

لست أدرى من العاشق فيهما : فؤادك أم فؤاد

مجنونها المجروح .. ؟

نبئنى ، أيها الطائر الوديع .. !

***

بلّغ ، مع النسيم ، أنّات قلبي للحبيب الجميل .. !

وسائله ـ فى رفق ـ أن يصف الدواء لفؤادى العليل .. !

واحمل إليه رسالة الهوى ، ففؤادى إلى الحبيب
يميل . . !

فان كنت لاترضى ، فمن سواك إلى الحبيب
رسول . . ؟

نبئنى ، أيها الطائر الوديع . . !

***

تحنّ دموعى إلى مرآى دمعك السخن الهتون . . !
ويحنّ قلبى إلى سماع صوتك العذب الحنون . . !
قل لليلاك إن مجنونها بجمالها مفتون . . !
تُرَى : كم عاشقاً فى هوى «ليلى» مجنون . . ؟
نبئنى ، أيها الطائر الوديع . . !

***

أعرنى جناحيك أطِرْ إلى حيث يقيم الحبيب . !
وارحم عليلاً مُعَنًّى ليس لدائه غيرَ الحبيب
طبيب . . !

واذكر محبًّا وفيًّا مُقامه لدى غير الحبيب لا يطيب ..!

فهلاَّ رحمتَ صبًّا مدنفًا بغير جنا حيك لن يطيب ..؟

نبئنى ، أيها الطائر الوديع ..!

* * *

مهلاً ! أتُرى خبَّلني الهوى فلم أَدر أن الحبيب فى فؤادى مقيم ..؟

أم تُرى شتَّت الحب فؤادى فلم يدر أنه بالحبيب فى نعيم ..؟

أم تُرى قد عيل صبري نخلت فؤادى جحيما فى جحيم ..؟

أم تُرى حققْت أمرى فتبينْت أن نعيم الفؤاد لا يدوم ..؟

نبئنى ، أيها الطائر الوديع ..!

* * *

أيها الطائر الوفىّ الأمين : أشْكُ عنى لليلاك ألم الهوى ..!

واحْكِ عنى لليلاكَ شده الجوى . . !

وابْكِ عنى لليلاكَ دمع النوي . . !

وقل لليلاكَ : مجنونكِ انضوى . . !

فهل أنت لرجائي مجيب . . ؟

نبئني ، أيها الطائر الوديع . . !

***

أيها البحر !

مالأمواجك أبداً هائجة كأمواج الحياة . . ؟

عجباً للحب ! ماله يأبى إلا أن يصيب كل شيء في الوجود . . ؟

إلهي ! أحتى الماء لم يستطع أن يفلت من براثنه . . ؟

كم من غادة هيفاء هامت بحبك ، أيها البحر ، فألقت بنفسها عارية ــ كتمثال من المرمر ــ بين أحضانك . . !

علامَ هذا الغضب إذن . . ؟

وفيمَ زئير أمواجك . . ؟

ألأن عروسك قد هجرتك تثور هكذا ، حتى على هؤلاء العذارى اللائي يلقين بأنفسهن ، مستسلمات ، بين أحضانك . . ؟

ألا رفقاً بهن ، أيها البحر الثائر . . !

* * *

عندما ينتصف الليل يسود الدنيا كلها سكون تام وصمت رهيب ، لكنك أنت لاتسكن ولا تهدأ ، بل تقضي ليلك كله صاخباً ثائراً ، كأنما تبحث عبثاً ـ مثلي تماماً ـ عن عروسك التي هجرتك ، كما يبحث المحموم عن جرعة من الدواء وقد نفد عن آخره . . !

فإلى متى تثور هكذا ، حتى على هؤلاء العذارى اللائي يلقين بأنفسهن ، مستسلمات ، بين أحضانك . . ؟

ألا رفقاً بهن ، أيها البحر الثائر . . !

* * *

وددت لو استطعت الوصول إلى أعماقك ، لكي أجس بيدي الضعيفة نبضات قلبك الجبار . . !

تباً للحب ! أهكذا يخفق قلبك بعنف ـ كقلبي تماماً ـ لأنك لم تهتد إلى عروسك التي هجرتك . . ؟

كنت أحسب أن الحب لايقوى إلا على الضعفاء ،

فإذا بى أراه يشفق عليهم بقــدر مايقسو على الجبابرة الأقوياء ..!

ألوف العذارى يهبْن لك أنفسهن قرباناً على مذبح حبك ، لــكن قلبك الخفاق يقسو عليهن بقدر ماتقسو عليه عروسك التى هجرتك . . !

فإلى متى تثور هكذا ، حتى على هؤلاء العــذارى اللائي يلقين بأنفسهن ، مستسلمات ، بين أحضانك .. ؟

ألا رفقاً بهن ، أيها البحر الثائر . . !

* * *

هل رأيت إلى هــذه الغادة الحسناء ، وقد أسلمت نفسها الأمواجك الهائجة ، كيف انساب شعرها الأسود الحالك على ظهرها المرمري الجميل ..؟

وهل علمت أن هذا الشعر المُرْخَى الجميل ، الذى يحاكى سواده ظلمة الليل البهيم ، إنما هو دليل ذلك السر الرهيب ، الذى حار فيه الفلاسفة منذ القدم ، والذى لن يهتدوا أبداً إليه . . ؟

وهل أدركت أنك من أجل هذا ، وغير هذا ، لن تهتدى إلى عروسك التى هجرتك . . ؟

فإلى متى تثور هكذا ، حتى على هؤلاء العذارى اللائى يلقين بأنفسهن ، مستسلمات ، بين أحضانك ..؟

ألا رفقاً بهن ، أيها البحر الثائر . . !

* * *

أيها البحر الرهيب : طالما فتّشت فى شاطئك اللانهائى عن تلك الغادة التى أنشدها ، مثلما فتشت أنت عن عروسك التى هجرتك ، فعبثاً حاولت . . !

من يدرى : لعلها تأتيك ـ مختارة كغيرها ـ بعد أن أغادر شاطئك المغري الفتان . . !

فهلاّ أذنت لى فى أن أحمّلك رسالة الهوى ، لكى تبلّغها عنى إلى من جعلتُها موضع أملى المنشود . . ؟

أغلب الظن أنك لن تبخل علىّ بذلك . . !

فإلى اللقاء ، أيها البحر الثائر . . !

***

أيها الليل !

ترُى : هل أحبك وحدي ، أم أن الناس كلهم يحبونك . . ؟

أُغلب الظن أن الناس كلهم يحبونك : فمنهم من يحبك لأنه يحب أن يراك ، ومنهم من يحبك لأنه يحب نجواك ، ومنهم من يحبك لأنه يحب أن يشكو إليك . . !

لست أدرى : هل أحبك ، ياترى ، لأنى أحب أن أراك ، أم أحبك لأنى أحب نجواك ، أم أحبك لأنى أحب أن أشكو إليك . . ؟

خبرنى ، أيها الليل الجميل . . !

* * *

أنت جميل ، أيها الليل ، لأن الجمال يبدو فيك سافراً وكان يحجبه ــ قبلك ــ ستر كثيف . . !

في هـذه اللحظة منك ، أيها الليل ، أرى زوجات ضاحكات مع أزواجهن ، وعلى رأسهن سيدة عجوز ، والكل جلوس حول المنضدة لاهين ، كالأطفال ، طربين ، وكانوا ـ قبْلَك ـ سكوتاً واجمين . . !

وفي هـذه اللحظة منك ، أيها الليل ، أرى أناساً فرحين مرحين ، وقد اختلط النساء منهم بالرجال ، يلهون ويلعبون ويضحكون ، وكانوا ـ قبْلَك ـ يعملون ويكدّون ويكدحون . . !

من أجل هـذا يحبك الناس ، أيها الليل ، لأنهم يحبون أن يروك . . !

فهل لهذا أحبك ، مثلَهم ، يا ترى . . ؟

خبّرني ، أيها الليل الجميل . . !

* * *

وأنت جميل ، أيها الليل ، لأن الوحي لا يهبط على الشعراء إلا في سكونك البديع ، ولأن العناق لا يحلو

للعشّاق إلا فى نسيمك الوديع ، ولأن العيون لا تستمد سحرها إلا من بريق أنوارك ، ولأن القبلة لا تستمد حرارتها إلا من لهيب ضوائك ، أو لأن المرأة لا تستمد فتنتها إلا من سحر فتنتك . . !

كم من عاشقين يتناجيان ، خلسة ، لا يكشفهما أحد سواك . . !

وكم من عاشقين يتعانقان ، خلسة ، لا يراهما أحد سواك . . !

وكم من نظرة يلقيها المحب على عينى حبيبته ، خلسة ، لا يلمحها أحد سواك . . !

وكم من قبلة يطبعها المحب على فم حبيبته ، خلسة ، لا يسمع صوتها الخافت أحد سواك . . !

من أجل هـذا يحبك الناس ، أيها الليل ، لأنهم يحبون نجواك . . !

فهل لهذا أحبك ، مثلهم ، يا ترى . . ؟

خبّرنى ، أيها الليل الجميل . . !

* * *

وأنت جميل ، أيها الليل ، لأن العشاق لا يحلو لهم أن يسكبوا دموعهم إلا فى ظلامك والناس كلهم نيام . . !

ولأن البؤساء لا يحلو لهم أن ينفثوا آلامهم إلا فى ظلامك والناس كلهم نيام . . !

ولأن المناكيد لا يحلو لهم أن يندبوا حظوظهم العاثرة إلا فى ظلامك والناس كلم نيام . . !

ولأن المنكوبين لا يحلو لهم أن يذكروا ماضيهم الجميل إلا فى ظلامك والناس كلهم نيام . . !

ولأن الثكالى لا يحلو لهن أن يبكين أولادهن إلا في ظلامك والناس كلهم نيام . . !

كم من وسادة بلّلها دمع سخين سكبته عينا عاشق أضجّ الحب مضجعه فبات ليله كلّه لم يغمض له جفن ..!

وكم من وسادة بللها دمع سخين سكبته عينا بائس أضنجّ الشقاء مضجعه فبات ليله كله لم يغمض له جفن . . !

وكم من وسادة بللها دمع سخين سكبته عينا نكِد أضنج الحرمان مضجعه فبات ليله كله لم يغمض له جفن . . !

وكم من وسادة بللها دمع سخين سكبته عينا منكوب أضنج الذل مضجعه فبات ليله كله لم يغمض له جفن . . !

وكم من وسادة بللها دمع سخين سكبته عينا ثا كل أضنج الوجد مضجعها فباتت ليلها كله لم يغمض لها جفن . . !

من أجل هـذا يحبك الناس ، أيها الليل ، لأنهم يحبون أن يشكوا إليك . . !

فهل لهذا أُحبك ، مثلَهم ، يا ترى . . ؟

خبرنى ، أيها الليل الجميل . . !

***

أيها الليل العظيم : لو أن الأيام كانت كلها نهاراً لرغب الناس عن الحياة ، لكن حكمة وجودك إنما هى تشجيعهم على البقاء . . !

من أجل هذا أُحبك ، أيها الليل . . !

تُرى : هل يحفظ الناس لك هذا الجميل . . ؟

خبرنى ، أيها الليل الجميل . . !

***

أيتها الشمس !

ما أجمل وجهك حين يكسبه الشروق ضياء ولألاء يجعلانه أشبه شيء بوجـه العذراء البتول وقـد أضاء وتلألأ من فرط الطهر والنقـاء .. !

ترى : أي جمال تضفيه أشعتك الذهبية على هـذه البسط السندسية الخضراء .. ؟

خبريني ، أيتها الشمس الفاتنة .. !

* * *

وما أجمل وجهك حين يكسوه الغروب حمرة تجعله أشبه شيء بوجه العذراء البتول وقد احمرّ من فرط الخجل والحياء .. !

لست أدري : أتعكس أشعتك الذهبية زرقة السماء على وجه الماء ، أم هي تعكس زرقة المـاء على صفحة السماء .. ؟

خبريني ، أيتها الشمس الفاتنة . . !

* * *

هل رأيت إلى القمر كيف بدا فى الجانب الآخر من السماء ، يرمقك بنظراته وأنت ذاهبة إلى خدرك ، وقد أبى من فرط تعلقه بك إلا أن يودعك قبل أن تأوى إلى مخدعك ، وكأنه شاء من فرط شغفه بك أن يتوسل إليك ، فى ذلة المحب وخضوعه ، أن تتمهلى قليلا ، فى تيه الحبيب ودلاله ، ريثما يطفىء منك غلته ويخفف عنه لوعته ، بعد إذ برح به الشوق وكاد الوجد أن يلتهم فؤاده الرقيق . . ؟

لست أدرى : أدلالك من دلال تلك الغانية الحسناء ، أم تيه الغوانى من تيه السماء . . ؟

خبرينى ، أيتها الشمس الفاتنة . . !

* * *

سلى أولئك الغوانى الحسان ، وقد أسلمن أجسادهن الغضة اللدنة لأمواج البحر الهائج ، كيف لايحلو لهن

أن يداعبن الماء الثائر إلا تحت أشعتك الذهبية المتوهجة . . !

بل سلى أولئك الغوانى الحسان كيف يطيب لهن ، بين هذه الأمواج الصاخبة ، أن تداعب أشعتك المتوهجة أجسامهن المرمرية العارية فتكسوها سمرة تذهب ببياضها الناصع الجميل . . !

لست أدرى : أى سحر فتن أولئك الغوانى الحسان فأولعن هياماً بأشعتك الذهبية المغرية . . ؟

خبرينى ، أيتها الشمس الفاتنة . . !

* * *

كم داعبت أشعتك الذهبية جفونَ ناعسةٍ كحلاء ، وقد أوشك الصبح أن ينبلج ، فتفتحت عيناها على قلبٍ قد ضمها إليه من فرط الحب والشغف ، وبدا جسمها المرمرى الشفاف بين ذراعين قد أحاطا بخصرها النحيل من فرط الحرص والحذر ، وقد خُيِّل إلى صاحبهما ،

مدة تعلقه بها وإعانه بطهرها وعفافها ، أن ملاكاً يسطو عليها فينتزعها من بين أحضانه ويحملها بين ناحيه الطاهرين ليصعد بها إلى مقره العلوى فى سماء . . !

ترى : كم يروق هذا المنظر الشعرى الجميل أعينَ شعراء . . ؟

خبريني ، أيتها الشمس الفاتنة . . !

* * *

وكم أعادت أشعتك الذهبية القوة والحياة إلى عليل شرف على الموت فردّته سليمًا معافًى ، كأن لم يشكُ الأمس . . !

هذه السهول الفيحاء ، وهذه البسط الخضراء ، هذه الحدائق الغناء : أليست كلها تستمد منك النمو البقاء . . ؟

لست أدري : أهي الحياة أنت أم أنت هي الحياة . . ؟
خبريني ، أيتها الشمس الفاتنة . . !

***

أيتها الشمس الساحرة : لئن حق لآبائنا الأولين ، من قبل ، أن يعبدوك ، فقد حق علينا ، من بعد ، أن نسجد — حمداً وشكراً — لله الذي صوّرك فأبدعك . . !

فما أجملك وأروعك إذ تَشرُقين ، وما أجملك وأروعك إذ تغربين ، وما أجملك وأروعك إذ تحتلّين كبد السماء . . !

***

مهداة إلى الآنسة « أم كلثوم »[1]

أيتها الغانية[2] !

لقد وهبتك روحى ، فلا إخالك تعلمين . . !

كلما سمعت صوتك العذب الحنون ، أحسست أن روحى الصغيرة ترفرف بجناحيها الرقيقين فوق روحك الحلوة البريئة ، لتحميها من ذئاب البشرية التى تود التهامها . . !

ها أنت تعيشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير . . !

فهل تحسّين ، يا ترى ، ما تعانيه روحى من شقاء . . ؟

خبّرينى ، أيتها الغانية الحسناء . . !

* * *

وكلما سمعت صوتك الملائكىّ الجميل ، أحسست

(١) تقديراً لصوتها الملائكى .

(٢) الغنية بحسنها وجمال صوتها .

أن ملاكاً هبط إليّ من السماء ، فحمل روحى الصغيرة على جناحيه الطاهرين ليصعد بها إلى الملأ الأعلى ، حيث أتحدث إليك الآن . . !

ها أنت تعيشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير . . !
فهل تحسّين ، ياترى ، ما تعانيه روحى من شقاء . . ؟
خبرينى ، أيتها الغانية الحسناء . . !

***

هل تذكرين تلك الليلة من ليالى الربيع الجميل ، وقد كنت تغرّدين لحن الهوى بصوتك السحرى الرخيم والدنيا كلها سكون ، إلا سرب من البلابل تشدو فى الفضاء ، ما إن رنّ فى آذانها صدى صوتك العذب الحنون حتى تآمرت عليك فيما بينها ، فسارت حيث مسرى صوتك الرنان وهى تشدو . . . حتى إذا بلغت مصدره راعها سحره فأنصتت إليه ، مأخوذة ، وليس بينها إلا حائر أو مذهول . . ؟

إلهى ! لقد أذهلت الحسناء البلابل بصوتها الملائكى
لجميل ، فأفسدت عليها كل تدبير . . !

ها أنت تعيشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير . . !

فهل تحسّين ، يا ترى ، ما تعانيــــه روحى من
شقاء . . ؟

خبرينى ، أيتها الغانية الحسناء . . !

* * *

كم سبقنى إليك المحبون حتى زهّدوك فى الحب
قبل أن تصل روحى إليك . . !

لست أدرى : أذنب روحى أنها أبت أن تزجّ
بنفسها مع العاشقين ، وأن تقنع بمشاهدة هـذا الصراع
العنيف بينك و بينهم طول هذه السنين ، وأن تدعو الله ،
فى اليقظة وفى المنام ، أن يكتب لك النصر المبين . . ؟

ها أنت تعيشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير . . !

فهـل تحسّين ، ياترى ، ما تعانيه روحي من شقاء . . ؟

خبريني ، أيّها الغانية الحسناء . . !

* * *

لست أدرى لمَ يتهافت المحبون عليك كما يتهافت الفَراش على النور . . !

هم يجهلون الحب ، لأنهم يحبون فيك ما يثير نهمهم . . !

كم أنا سعيد لأنهم لا يعرفون مخبئى فى تلك الصومعة الصغيرة التى شيدتها إلى جانب ذلك المعبد العظيم ، الذى أقمته لك منذ أن طار اسمك فى الآفاق . . !

هنالك أعيش وحدى ، بعيداً عن البشر ، لا مأرب لى فى هذه الحياة إلا أن أفنى فى روحك الطاهرة ، وأن أدعو لك الله آناء الليل وأطراف النهار . . !

وكلما تأتين إلى هذا المعبد ، تحيط بك تلك الهالة

البيضاء من النور المقدس ، أرمقك من مخبئي بنظرة ملؤها الحب والعطف والحنان ..!

هنالك ، حيث تؤدين الطقوس والفروض ، وتنشدين بصوتك الملائكي الجميل لحن السماء المقدس ، يهبط إليك ملائكة أطهار ، مأخوذين بسحر صوتك العذب الحنون ، ليؤدوا معك هذه الفروض والطقوس وهم وقوف خلفك إذ تقفين ، أو ركّع سجود إذ تركعين وتسجدين . . !

ثم يصعد الملائكة بعد ذلك إلى السماء وتغادرين أنت المكان ، دون أن يكون أحد سواى من البشر قد أحسّ بك فى الجيئة أو فى الذهوب . . !

وبعد إذ تغادرين المعبد أخرج من مخبئي فى تلك الصومعة الصغيرة وألجأ اليه ، فأقف خاشعاً بين يدى الله حيث كنت تقفين ، ثم أركع له وأسجد حيث كنت تركعين وتسجدين ، وأبتهل إليه أن يحفظ روحك

البريئة ، وأن ينجّيها من هـذه الذئاب الجائعة ، التى كثـيراً ما أراها فاغرة أفواهها ، فى انتظار فريستها الوديعة الناعمة . . !

ها أنت تعيشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير ..!

فهل تحسين ، ياترى ، ماتعانيه روحي من شقاء . . !

خبريني ، أيتها الغانية الحسناء . . !

* * *

ابتسامتك الحلوة التى لا تفارق فمك ، وعيونك النواعس الـكحلاء ، وصوتك السحرى الذى عشقته البلابل قبلنا : هذه كلها أغرت بك العاشقين ..!

تالله ما حقدت عليهم يوماً ، بل طالما طلبت لهم الرحمة من رب العالمين . . !

أليسوا — مثلى — بشرا ..؟

ولو كانوا ملائـكة ما كانوا بغير حبك قانعين . . !

ها أنت تميشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير .. !

فهل تحسين ، ياترى ، ماتعانيه روحى من شقاء ..؟

خبرينى ، أيتها الغانية الحسناء .. !

***

ابتسامتك الحلوة تفتح أبواب السعادة للبائسين ،

وتنسج خيوط الأمل لليائسين ..!

وصوتك العذب شفاء للمرضى ، وغذاء للجائعين ..!

ولحاظك الجارحة تفتح أبواب سقر للعاشقين ،

وتبعث الشقاء فى قلوب الهائمين .. !

رحماك يارب ! لم لا تتم نعمتك على هذا الطائر

الوديع والبلبل الصدّاح .. ؟

لِمَ لا تجعل لحاظه رسول سلام للعاشقين ،

ومبعث سعادة للهائمين .. ؟

إلهى ! لأنت على كل شيء قدير .. !

ها أنت تعيشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير . . !

فهل تحسين ، يا ترى ، ما تعانيه روحى من شقاء . . ؟

خبرينى ، أيتها الغانية الحسناء . . !

* * *

أحببتك حباً عذرياً لأنك أنت عذراء . . !

وتناثرت روحى فتجمعت ، فوق هامتك ، هالةً من النور بيضاء . . !

وتفاهم روحانا فغافلانا إلى الرياض ، حيث تم اللقاء . . !

فتشاكيا وتعاتبا ، فتصافيا وتهامسا : أيعودان ، أم يبقيان حيث يحلو لهما البقاء . . ؟

ها أنت تعيشين ، وحدك ، على ضفاف الغدير . . !

فهل تحسين ، يا ترى ، ما تعانيه روحى من شقاء . . ؟

خبريني ، أيتها الغانية الحسناء . . !

***

أيتها الغانية العذراء : أتدرين من أنت . . ؟

هى أنت ياذات الصوت الملائكى الحنون . . !

أجل ! هى أنت يا فاتنتى الحسناء . . !

فالى اللقاء ، أيتها العذراء ، يوم يلتقى روحانا فى

ملكوت السماء . . !

***

أيها الحب !

لقد سئمت سماع اسمك ، وكرهتك آذاني كما كرهك ، من قبل ، قلبي . . !

أجل ! لقد أصبحت أمقتك بقدر ما أحب الحرية . . !

ما أكثر ما أزهق ، في سبيلكما ، من أرواح بريئة ، منذ الأزل . . !

ولكن ما أشقى تلك الأرواح التي استشهدت في سبيلك ، وما أسعد تلك التي استشهدت في سبيل الحرية . . !

ها أنذا أراك جاثما فوق قلب الانسانية ، لا تتزحزح ، وكأنك «أبو الهول» العتيد . . !

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبِّرنى ، أيها الحب الجبار . . !

***

كم من عاشق كحّل السهد جفونه وبلّل الدمع خدوده . . !

وكم من عاشق وخزْتَ فؤاده فبات ليله يتلوى كمن لدغته أفعي . . !

وكم من عاشق جرّدت فكره إلا ممن يحب فأنكر نفسه ، وأنكر أهله وخلاّنه ، بل وأنكر دينه ووطنه ، فى سبيل من يهوى . . !

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار . . !

***

أيها الطائر الوديع : أحقاً أنك ، عندما يهزّ الحب أوتار قلبك الصغير ، تنطلق مغرداً فى فضاء الله سبّح . . ؟

أحقاً أن أسعد أوقاتك هى تلك التى تقضيها بين
جناحى أليفك . . ؟

أحقاً أنك ، عند ما يضنى الشوق فؤادك الرقيق ،
تخفّ إلينا لتشكو جواك . . ؟

تالله لو كنا نستطيع أن نفهم نجواك ، إذن لكنتَ
قد واسيتنا وواسيناك ..!

إيه أيها الحب : ما أشقانا بك . . !

وهذا الطائر المسكين : ما أشقاه . .!

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار ..!

***

كم من صبٍّ مُدْنف ، قد حطّم اليأس فؤاده ،
خيّل إليه الوهم أنه مستطيع أن يقف منك موقف الند ،

وزينت له نفسه المحطّمة أن يناصبك العداء ، فعاد إلى نفسه كسيراً ، مغلوباً على أمره ، كما كان . . !

أجل ! وقد آمن بأنك أقوى ما فى الوجود . . !

ألست أنت قاهر الملوك والقياصرة . . ؟

كم من عُروش تسلّلْت إليها ، ساخراً ، فدككتها دكًّا وقوّضتها تقويضا . . !

إيه أيها الحب : ما أعظم جبروتك وما أعتدك ، وما أشد بأسك وما أقواك . . !

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار . . !

* * *

كم غزوتَ قلوب البشر ، حتى لا تكاد توجد ضلوع انطوت على فؤاد لم ينقش عليه اسمك . . !

وكم شتّتّ أفكار الناس على اختلاف طبقاتهم

وألوانهم ، فلم ينجُ منك ملك جبار أو عابر سبيل ، ولا عالم فيلسوف أو جاهل بليد ، ولا نبي كريم أو فاسق عربيد . . !

وكم شغلتَ صفحات الكتب والمجلدات ، حتى لا تكاد توجد قصة واحدة خلت من اسمك أو المدار حولك . . !

تالله لو أن المداد الذي كُتب به اسمك قد تجمع كله في مكان واحد منذ الأزل ، لما وسعته أنهار ولا بحار ، شأنَ تلك الدماء البريئة التي أريقت في سبيل الحرية . . !

لست أدرى : أأنت كل ما في الوجود وليس في الوجود شيء سواك . . ؟

لأنت أبديٌّ كالدهر ، خالد كالموت : بدأت مع « آدم » و « حواء » ، وستبقى حتى يفنى هذا الوجود . . !

تُرى : أسوف تصحبنا إلى العالم الآخر ، عالم الجمال والخلود . . ؟

إيه أيها الحب العتيد : ما أتعس ضحاياك . . !

تالله لو أن ضحاياك السابقين أسدوا شيئا من النصح إلى ضحاياك المجهولين فى عالم الغيب ، لأدرك هؤلاء أنك إنما تلعب برؤوسهم كما تلعب الخمر برؤوس شاربيها ، فهم لا يفكرون فيما يأتونه اليوم إلا فى الغد ، حيث يدركون أنهم قدفعلوا مافعلواوهم لايشعرون . . !

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار . . !

* * *

كم من وغد جبان غرّر ـ باسمك ـ بعقول ساذجات بائسات ، فألقى بهن فى الهاوية . . !

وكم من ساقطة لعوب غرّرت ـ باسمك ـ بعقول سذّج بائسين ، فأوردتهم موارد الهلاك . . !

أيتها الذئاب الضارية ، وأيتها الأفاعى السامة :

تالله لو أن ضحاياكِ الغضة قد أدركت أنك تخفين وجهك تحت ستار « الحب » ، إذن لهشّمتْ رؤوسك قبل أن تنهشي أعوادها اللدنة ، أو تنفثي فيها سمومك القاتلة . . !

وأنتِ أيتها الضحايا التعسة : متى تتنبهين . . ؟

إيه أيها الحب : لئن كان هناك من قال للحرية ، يوماً ، وللانسانيـة : « كم من الجـرائم يرتـكب باسمك ! » ، فانى أقول لك اليوم ، بدورى : كم من الجـرائم يرتكب باسمك . . !

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار . . !

***

أيها الحب الخالد : أحقاً أن لك ـ كما للـكثير غيرك مما فى هـذا الوجود ـ ناحيتين : ناحية خير ، وناحية شر . . ؟

لقد عرفنا ناحية الشر فيك . . !

تُرى : ماذا عسى أن تكون ناحية الخير . . ؟

أحقاً أنك أنت الذى ترهف إحساسنا . . ؟

أحقاً أنك أنت الذى تبعث فينا الحياة والأمل . . ؟

أحقاً أنك أنت الذى تبعث فينا الشهامة والأنفة ، وتقتل فينا الأثرة والأنانية . . ؟

أحقاً أنك أنت مصدر الوحى والإلهام . . ؟

أحقاً أنك أنت مصدر الفن والجمال . . ؟

أجل ! إنك أنت ذاك ، ولكنك أنت ، بعينك ، الذى تبعث اليأس فى نفوسنا فيقضى على كل ما تبقى فيها من أمل ورجاء . . !

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار . . !

***

أيها الحب العتيد : لئن كنتَ حقاً مصدر ما فى هذا الوجود من جمال ، فأنت أيضاً مصدر ما فيه من شقاء . . !

كم من أسرة خيّم الهناء على أفرادها ، فألّف التعاطف بين الزوجين وملأ الحنان قلبيهما نحو فلذات كبديهما ، نفثت فيها سمومك القاتلة ، ففرّقت بين الزوجين وشرّدت أطفالهما ، فى سبيل وغـــد أحبته الزوجة أو ساقطة أحبها الزوج . . !

وكم من رجل شريف أمين استحوذت على قلبه فطوّحت به ، بين طرفة عين وانتباهتها ، فى أعماق السجون ، لصًّا بين اللصوص ، ومجرماً مع المجرمين . . !

وكم من رجل مؤمن وديع استوليت على لبّه فألقيت به ، بين عشية وضحاها ، فى غياهب السجون ، سفّاحاً بين السفاحين ، ومنبوذاً مع المنبوذين . . !

أجل ! ومع ذلك تقول إنك مصدر ما فى هـذا الوجود من جمال . . ! .

تالله ما رأيت شيئاً فى الوجود استطاع أن يجمع بين النقيضين مثلك . . !

تُرى : متى تتحرر منك هذه الانسانية البائسة . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار . . !

* * *

أيها الحب القاهر العنيد : ما أريد الآن أن أناصبك العداء ، فانى لأعلم أنك قوى البأس شديد الانتقام . . . إنما أردت أن أنبه هذه الانسانية البائسة إلى ما عسى أن يكون قد ألهاها عنه جمالُ اسمك ، بل جمال كل حرف من أحرفه ، مما تنفثه فيها من سم زعاف . . !

تُرى : هل وفّيتك بعض حقك . . ؟

خبرنى ، أيها الحب الجبار . . !

* * *

أيها الرجال !

أحقاً أن فيكم بلهاء . . ؟

هكذا يقول النساء . . !

تُرى : هل يصدق قولهن . . ؟

وإن يكن قولهن صادقاً ، فالى متى تظلون كذلك . . ؟

أفيقوا ، أيها الرجال الغافلون . . !

* * *

ترون الشيء واضحاً أمام أعينكم ، فاذا قالت لكم المرأة إنه على عكس ما ترون ، لم تصدّقوها وتكذّبوا أعينكم فحسب ، بل كنتم أسبق منها إلى رؤيته بعينيها . . !

يا للسذاجة ، ويا للضعف . . !

أليست هذه غفلة . . ؟

وإلا فماذا تسمّونها إن لم تكن هى الغفلة بعينها . . ؟

حقاً ، إنكم بلهاء . . !

فالى متى تظلون كذلك . . ؟

أفيقوا ، أيها الرجال الغافلون . . !

* * *

وتحدثكم المرأة عن أمر من الأمور فتصدّقونها ، فاذا خلوتم إلى أنفسكم ورجعتم إلى ضمائركم ، ألفيتم أنها خدعتكم . . !

فاذا قلتم لها إنها كانت كاذبة مخاتلة ، استدرّت عطفكم بدموعها المزيّفة ، فلم تعودوا تصدّقونها فحسب ، بل رجعتم إلى أنفسكم تحاسبونها على ما قدّمت لها من إساءة . . !

يا للسذاجة ، ويا للضعف . . !

أليست هذه غفلة . . ؟

وإلا فماذا تسمّونها إن لم تكن هى الغفلة بعينها .. ؟

حقاً ، إنكم بلهاء .. !

فإلى متى تظلون كذلك .. ؟

أفيقوا ، أيها الرجال الغافلون .. !

* * *

وتحبون المرأة من أعماق قلوبكم حباً قوياً صادقا ، وهى تضحك منكم أثناء ذلك ، ساخرة ، ثم تظهر لكم فى الوقت عينه من دلائل الحب ما يؤجج النار في قلوبكم .. !

فاذا بدا لكم بعد ذلك أنها كانت خادعة ، وأنها خدعت الكثيرين سواكم كما خدعتكم ، لم ترجعوا ، مع ذلك ، عن حبها ، ثم لم تمادوا فى هذا الحب ، فحسب ، بل رجعتم إلى أنفسكم تلومونها لأنكم تسيئون بها الظنون .. !

يا للسذاجة ، ويا للضعف .. !

أليست هذه غفلة . . ؟

وإلا فماذا تسمّونها إن لم تكن هى الغفلة بعينها . . ؟

حقاً ، إنكم بلهاء . . !

فالى متى تظلون كذلك . . ؟

أفيقوا ، أيها الرجال الغافلون . . !

***

وتلقى لكم المرأة شباكها كما يلقيها الصياد الماهر لأسماكه التعسة : أما السمك فأنه يُقْبل على شباك الصياد وهو يجهل أن فيها هلاكه ، وأما أنتم فانكم تقبلون على شباك المرأة وأنتم تعلمون أن فيها حتفكم ، ومع ذلك تتدافعون إليها كما لو كان أمهركم هو الذى يلقى بنفسه فيها قبل الآخرين . . !

عجباً ! متى كان الناس يتسابقون إلى الهلاك . . ؟

يا للسذاجة ، ويا للضعف . . !

أليست هذه غفلة . . ؟

وإلا فماذا تسمّونها إن لم تكن هى الغفلة بعينها .. ؟

حقاً ، إنكم بلهاء .. !

فإلى متى تظلون كذلك .. ؟

أفيقوا ، أيها الرجال الغافلون .. !

***

كم من امرأة سيطرت على قيصر أو امبراطور ، فتحكّمت فى مصير شعب بأسره ، بل وربما فى مصائر شعوب بأسرها ، فأوردتها موارد الهلكة والدمار .. !

تبًّا لكم ، أيها الرجال .. !

لست أدرى لمَ كل هذا الخضوع والاستسلام .. !

ستقولون إنكم لا تقوون على سلطان الجمال .. !

حسناً ! ومع ذلك تريدون أن تقولوا إنكم رجال .. !

كلا ! إنما أنتم فى الحقيقة أشباه الرجال .. !

ألا تعساً لـكم ، وسحقاً لهذا الجمال ٠٠ !

لست أدري ماذا أقول . . !

أبابتسامة واحـدة تستطيع المرأة أن تجرّدكم من رجولتـكم ، وأن تسلبكم كل هذا السلطان . . ؟

يا للسذاجة ، ويا للضعف . . !

أليست هذه غفلة . . ؟

وإلا فماذا تسمّونها إن لم تكن هى الغفلة بعينها ٠٠ ؟

حقاً ، إنـكم بلهاء . . !

فالى متى تظلون كذلك . . ؟

أفيقوا ، أيها الرجال الغافلون . . !

***

أيها الرجال البلهاء : خبرونى ، لماذا تفْنون أنفسكم فى المرأة هـكذا . . ؟

لست أدرى : أهى سذاجـة ، أم هو ضعف ، أم ماذا . . !

لكنّ الذى أدريه أنكم ستقولون إنى لم أقع فى حبال المرأة بعد ، وإنى لم أفتن بجمالها بعد ، وإن عيونها الفتاكة لم تسدد سهامها إلى قلبى بعد . . !

أجل ! ستحدثوننى عن المرأة حديث من يعرف المرأة لمن يجهل المرأة . . !

ستحدثوننى عن سحر عينيها ، وعن سحر حديثها ، وعن سحر جمالها ، وعن كل ما أودعتها الطبيعة من سحر وأنوثة وجاذبية وقوة وتأثير . . !

ولكننى مع ذلك أجيبكم بأننى أعرف منكم بذلك كله . . !

أما علمتم أن المرأة تهيّئ لكم من جمالها لحداً ، وتنسج لكم من لحاظها كفناً ، وتقدّم لكم من دموعها ماء الغُسل . . ؟

أما علمتم أنها لا تستدرجكم إلى حبها إلا كما يستدرج الثعلب فريسته ، حتى إذا استأمنت إليه هجم عليها ، فى

غير مارحمة ولا شفقة ، فأَعمَل فيها مخالبه وهو فى نهم الجائع المذهول . . ؟

إمّا أنكم لا تعلمون : وهذه هي السذاجة والغفلة . . !

وإمّا أنكم تعلمون ، ومع ذلك تلقونَّ بأنفسكم في أحضانها مختارين : وهذا هو الضعف والاستسلام . . !

من أجل هذا أقول لكم إنكم بلهاء ، أو — على وجه آخر — إنكم ضعفاء . . !

فالى متى تظلون كذلك . . ؟

أفيقوا ، أيها الرجال الغافلون . . !

* * *

أيها الملَك !

كم ودّت روحى أن تتجرد من هذا الجسد ، وأن تخلص من هذا الأسر ، فتصعد إليك لتنعم فى مقرك الطاهر بذلك الحب الخالد ، الذى طالما صورَته لها أحلامها . . !

هو حب لا دنَس فيه لأنه تحرّر من شهوة الجسد ، وهو حب لا غرض له لأنه تحرر من مطامع البشر ، وهو حب لا غدر فيه لأنه تحرر من طبائع البشر ، وهو حب لا نهاية له لأنه تحرر من فناء الجسد : فهو حب عذرى ، يمتزج فيه الطهر بالبراءة والوفاء والخلود . . .

تُرى : هل يتحقق هذا الحلم السعيد . . ؟

نبئنى ، أيها الملَك الكريم . . !

* * *

وكم ودّت روحى أن تتجرد من هذا الجسد ، وأن

تخلص من هذا الأسر ، فتصعد إليك لتنعم فى مقرك الطاهر بتلك السعادة اللانهائية ، التى طالما تطلّعتْ إليها فى هذا االعالم الموبوء ..!

هى سعادة لا يشوّه جمالَها غدر الحبيب ولا غيرة الصديق ولا حسد القريب ، وهى سعادة لا يعكّر صفوَها شبح الحروب ولا استبداد الحكام ولا أطماع القياصرة : فهى سعادة خالصة ، تمتزج فيها المحبة بالاخلاص والحنوّ ، كما تمتزج فيها الرحمة بالعدالة والزهد ...

تُرى : هل يتحقق هذا الحلم السعيد .. ؟
نبئنى ، أيها الملك الكريم ..!

* **

وكم ودّت روحى أن تتجرد من هذا الجسد ، وأن تخلص من هذا الأسر ، فتصعد إليك لتنعم فى مقرك

الظاهر بتلك الراحة الأبدية ، التى طالما حُرِمْتها فى هذه الدنيا المزعجة . . !

هى راحة لا يشوبها ألم الحزن ولا عذاب المرض ولا لوعة الفراق ولا عناء الذل ولا مرارة الحرمان ، وهى راحة لا يقلقها طلق المدافع ولا أزيز الطائرات ولا ضجيج الفرسان : فهى راحة شاملة ، تمتزج فيها الهناءة بالسلام والهدوء . . .

تُرى : هل يتحقق هذا الحلم السعيد . . ؟

نبئنى ، أيها الملك الكريم . . !

* * *

وكم ودَّت روحى أن تتجرد من هذا الجسد ، وأن تخلص من هذا الأسر ، فتصعد إليك لتنعم فى مقرك الطاهر بذلك الفردوس المقيم ، الذى طالما رَنَتْ إليه فى أحلامها . . !

هنالك ـ بين الورود والرياحين والنرجس والياسمين ، وبين مياه الأغادير العذبة الرقراقة ، وتحت ظلال الزيزفون الوارفة ، وفوق بُسطٍ من الأعشاب السندسية الخضراء ـ تستطيع روحى أن ترفرف بجناحيها الصغيرين ، لتبسط لواء المحبة والصفاء والسلام والاخاء فوق هذا العالم الذى يوشك أن تلتهمه نيران الحقد والبغضاء والخصام والشحناء . . !

تُرى : هل يتحقق هذا الحلم السعيد . . ؟

نبئنى ، أيها الملَك الكريم . . !

* * *

أيها الملَك الطاهر الرحيم : إن روحى الصغيرة لتتوسل إليك أن تمنّ عليها بفيضٍ من عطفك وحنانك ورحمتك ، فتبعث إليها برسول من لدنك ، ينقذها من عناء الأسر وذله ، ويحملها إليك لتنعم فى مقرك الطاهر

بالحب الخالد والسعادة اللانهائية والراحة الأبدية ..!

ترى : متى يأتى هذا الرسول الأمين ..؟

نبئنى ، أيها الملك الكريم ..!

* * *

أيها الشيطان !

لمَ هذا العداء المستحكم بينك وبيننا . . ؟

وأىّ سوءأصابك به أبناء « آدم » ، بل أىّ سوء أصابك به « آدم » نفسه ، حتى تناصبنا العداء . . ؟

ألأن الله تعالى قد غضب عليك ، لأنك استعليت على أمره واستكبرت ، تنتقم منا هكذا . . ؟

ألا خسئت ، أيها الشيطان الرجيم . . !

* * *

كان « آدم » يسكن الجنة مع زوجه « حواء » ، سعيدين هانئين ، وكان مفضّلاً عند ربه على الملائكة أجمعين ، وكنت أنت من بينهم ، أيها اللعين . . . فأمركم الله تعالى جميعاً أن تسجدوا لآدم ، فسجدوا كلهم إلا أنت ، فكنت من الكافرين . . !

عجباً ! ألم يكفك أنك خالفت الله تعالى ولم تسجد لآدم مع الساجدين ، فما زلت حتى أغريت زوجه بأن تأكل من الشجرة المحرّمة ، ثم همست فى أذنها أن تغريه بأن يأكل منها ، وزيّنتها لهما ، فكانا لها من الآكلين ، وكان جزاؤهما الطرد من ذلك النعيم المقيم ..؟

إلهى ! أيوجد حتى بين الملائكة من يكون من الحاسدين . . ؟

ألا خسئت ، أيها الشيطان الرجيم . . !

* * *

ألم يكفك ، أيضاً ، أنك مازلت بآدم وزوجه حتى كانا من المطرودين ، فتأبى إلا أن تتعقب ذريته ، واحداً فواحداً ، كما لو أنهم قتلوا أمك أوأباك ، حتى يبيتوا من المحرومين . . !

ألا ترى ، أيها اللعين ، كيف يخرج الانسان

فى الصباح متوكّلاً على ربه ، فلا تزال به توسوس له وتزّين له طريق الشر ، ثم تركب أم رأسه ، يغالبك تارة وتغالبه أخرى ، حتى ينتهى به المطاف إلى سلوك الطريق الذى حرمه الله رب العالمين . . ؟

ألا خسئت ، أيها الشيطان الرجيم . . !

***

و ياليتك قد اكتفيت بهذا ، أيها اللعين ، بل أبيت إلا أن تشوّه حياتنا ، فزيّنت لنا القبيح ، وقبّحت لنا الجميل . . !

كم من عجوز شمطاء ، لم تترك الدمامة فيها مكاناً إلا احتلّته ، زيّنتها لشاب ناضر جميل ، فبات بها مفتونا ، ولم يثنه عن حبها حياء أو يمنعه استحياء . . !

وكم من غادة هيفاء ، لم يَكمُل الجمال فى بشرٍ مثلَها ، قبّحتَها لزوجها وغضضتَ له من جمالها ، فغدا

لها كارهاً ، ولم يعد يطيق لها إلى جانبه بقاء . . !

ألا خسئت ، أيها الشيطان الرجيم . . !

***

ثم ياليتك ، أيضاً ، قد اكتفيت بهذا ، أيها اللعين ، بل أبيت إلا أن تتغلغل فى كل شىء فى الوجود . . !

ألم تجعل لنا من المرأة ضلالاً ونقمة وقد خلقها الله هدى ورحمة . . ؟

ألم تجعـــــل لنا من الجمال فتنة وقد خلقه الله زينة . . ؟

ألم تجعـــــل لنا من العيون سحراً وقد خلقها الله نوراً . . ؟

ألم تجعـــــل لنا من الحب شقاء وقد خلقه الله هناء . . ؟

ألم تحلّل لنا الحرام ، وتحرّم علينا الحلال . . ؟

ألم تزيّن لنا الفسق والخمور . . ؟

ألم توقد الضغينة فى الصدور ، وتضرم الحقد فى القلوب . . ؟

ألم تشعل نار الحروب . . ؟

فإلى متى تنتقم منا هكذا . . ؟

ألا خسئت ، أيها الشيطان الرجيم . . !

***

أيها الشيطان اللعين : تالله لوددتُ لو لقيتُك فسحقتك سحقاً ، ومحوتك من هذا الوجود محواً . . . ولست أخشى — علم الله — شيئاً مثلما أخشى أن تتشفع لك عندى ، وقتئذ ، حسنة واحدة أعرفها لك . . !

ألست أنت ، أيها الخبيث ، مصـــدر الإلهام والفنون . . ؟

أجل ! فلولاك ، أيها الخبيث ، ما كان شعرٌ ولا

خيال ، ولولاك ما كان حب ولا غزل ولا نسيب ، ولولاك ما كانت موسيقى ولا كان غناء ، ولولاك ما كان رسم ولا تصوير ، بل ولولاك ما كانت «الأهرام» الخالدة ولا كان «أبوالهول» العتيد . . !

* * *

أيها الجنين !

فيمَ تحاول المجيء إلينا . . ؟

تالله لو قُدِّر لى أن أعود إلى جوف أمّي لما رضيت الخروج منه إلا إلى عالم الخلود . . !

إخالك قد كُشِف عنك الحجاب ، فأنت تستطيع ، إذن ، أن تشهد مصائبنا ، وأن تدرك ما نعانيه من عذاب وشقاء . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لا تفعل ، أيها الجنين البرىء . . !

***

تحدّثني نفسى أنك تريد أن تسألنى عن أشياء كثيرة . . فسَلْ ما شئت ، أيها الجنين . . !

تسألنى عن « الحياة » : أليست هي مجموعة

متناقضات ، لا يعرف الانسان أيّان تبدأ ، ولا يعرف أين تنتهى . . ؟

الإنسانية والوحشية ، الرحمة والقسوة ، العدل والظلم ، الحق والباطل ، الحرية والاستعباد ، النور والظلام ، النظام والهمجية ، الفضيلة والرذيلة ، الوفاء والغدر ، الأمانةوالخيانة ، الصدق والكذب ، التواضع والكبر، الغنى والفقر ، القناعة والطمع ، الخير والشرّ ، الحب والبغض ، السّعادة والشقاء ، الجمال والقبح : من كل هذه المتناقضات ، ومن الكثير غيرها مما قد يجلّ عن إدراكنا ، تتكوّن الحياة . . .

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لا تفعل ، أيها الجنين البرىء ..!

***

وتسألني عن « الانسانية » : لعلّها ذلك الحلم الأزليّ الجميل ، الذي تنشده البشرية منذ نشأتها ، والذي ستظل تنشده ما ظلّ لها بقاء في هذا الوجود . . !

أو لعلّها هذه الحروب الهائلة تخوضها البشرية بدماء أبنائها ، لتخرج منها غالبة أو مغلوبة . . !

أما أنا فلست أدري ما هي الانسانية . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لا تفعل ، أيها الجنين البريء . . !

* * *

وتسألني عن « الرحمة » : لعلها ذلك الشيء الجميل ، الذي يحدثنا عنه الله تعالى في كتابه الكريم . . !

أليست هي إحدى صفاته الحسنى . . ؟

أو لعلها ذلك القويّ يفتك بأخيه الضعيف فتكَ الذئب بالحمل . . !

أما أنا فلست أدرى ما هى الرحمة . . !

فهل تحاول المجىء إلينا . . ؟

لاتفعل ، أيها الجنين البرىء . . !

* * *

وتسألنى عن « العدل » : لعله ذلك الميزان الدقيق ، الذى طالما أعوز البشرية لكى يَصلُح حالها ويستقيم أمرها . . !

أولعله تلك البشرية القوية تلتهم البشرية الضعيفة ، ثم تتربع بعد ذلك على منصّة القضاء العالمى لكي توزع الحقوق بينهما — بالعدل والقسطاس ! — فتقول لها : « هذا لى وذاك لك » . . !

أما أنا فلست أدرى ما هو العدل . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لاتفعل ، أيها الجنين البريء . . !

* * *

وتسألنى عن « الحق » : لعله ذلك الشىء الضائع ، الذى تبحث عنــه البشرية منذ الأزل ، والذى ســتظل تبحث عنه دون أن تهتدى إليه . . !

أما أنا فلست أدرى ما هو الحق . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لاتفعل ، أيها الجنين البرىء ..!

***

وتسألنى عن «الحرية» : لعلها ذلك الفضاء الفسيح يتطلع إليه الطائر من قفصه كما يتطلع الجائع إلى كسرة الخبز وقد أشرف على الهلاك من شــدة الجوع ، أو كما يتطلع الصادي إلى قطرة المــاء وقد شارف الموت من فرط الظمأ . . !

أو لعلها تلك الأغلال ترسف فيها البشرية المغلوبة لــكى تتلهّى بمرآها البشرية الغالبة ، وترمقها بنظرات

التشفى والسخرية ، وهي تنادى بأعلى صوتها ، ثلاثاً ،
من فوق المنبر العالمي : « لتحيا الحرية ! » . . !

أما أنا فلست أدرى ما هي الحرية . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لا تفعل ، أيها الجنين البرىء . . !

* * *

وتسألني عن « الفضيلة » : لعلها ذلك المثل الأعلى
الذى ترنو إليه البشرية دهراً بعد دهرٍ وجيلاً بعد
جيل . . !

أو لعلها تلك المرأة البائسة يتظاهر لها وغد مخاتل
بالعطف والشفقة فتحسن الظن به وتثق في صدق
عواطفه . . . حتى إذا ما شرعت تطمئن إليه ، أبى إلا أن
يطالبها بأن تؤدى له من شرفها وعفافها ثمناً غالياً لما
عساه أن يكون قد قدمه إليها من عطف دنىء . . !

أجل ! لعلها الأخلاق تُنتهك على مذبح الانسانية في القرن العشرين . . !

أما أنا فلست أدرى ما هى الفضيلة . . !

فهل تحاول المجىء إلينا . . ؟

لا تفعل ، أيها الجنين البرىء . . !

***

وتسألنى عن « الوفاء » : لعله ذلك الشيء الجميل ، الذى لو تحقّق لصارت البشرية خيراً مما هى اليوم . . !

أو لعله ذلك الصديق يوليه الانسان من إخلاصه ومحبّته ما قد يضنّ به على أبويه أو على فلذات كبده . . . حتى إذا ما عبس له الدهر ، لم يكن ذلك الصديق عوناً له على الدهر ، بل أبى إلا أن يكون حليفاً للدهر عليه . . !

أو لعله تلك الزوجة يوليها زوجها من إخلاصه وحبه مالا مطمع بعده لمستزيد . . . حتى إذا ما استمالها سواه ، لم تمِلْ إليه فحسب ، بل أبت إلا أن تدسّ

لزوجها السم لـكى تعجّل بالخلاص منه . . !

أما أنا فلست أدرى ما هو الوفاء . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لاتفعل ، أيها الجنين البريء . . !

***

وتسألنى عن « السعادة » : لعلّها ذلك الحلم الأبديّ الرائع اللذيذ ، الذى تسبح فيه البشرية بأسرها . . !

أو لعلها ذلك الوالد يبذل كل قطرة من دمه فى تنشئة ولده الوحيد وفلذة كبده ... حتى إذا ما نما الولد وترعرع ، امتدّت إليـه يد المنون فانتزعت هـذه الزهرة اليانعة من فوق غصنها الناضر الجميل . . !

أجل ! لعلها ذلك السراب الخادع يحسبه الظما ن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . . !

أما أنا فلست أدرى ماهى السعادة . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لاتفعل ، أيها الجنين البرىء . . !

***

. ثم تسألنى عن « الحب » : لعله ذلك الوحى يهبط على الإنسان بالسعادة والخلود . . !

أو لعله ذلك الروح يدبّ فى القلب دبيب السعادة والخلود . . !

أو لعله هذا الفضاء ما بين السماء والأرض يمتلىء به القلب إحساساً بالسعادة والخلود . . !

أو لعله هذا النور السماوى يشعّ به القلب إحساساً بالسعادة والخلود . . !

أو لعله ذلك الأمل الحلو ، وتلك الأمانى العِذاب ، تبعث فى القلب أحاسيس السعادة والخلود . . !

أو لعله هذه اللانهاية تسبح فيها أرواح المحبين . . !

أو لعله هذان المحبّان يتعانقان فيمتزجان ، حتى لا يكاد الانسان يميّزهما عدّاً : أواحدٌ هما أم اثنان . . !

أو لعله فناء روحين ، كل منهما فى الآخر . . !

أو لعله الجحيم يصلاها الفؤاد . . !

أو لعله اليأس يدبّ إلى قلب المحب فيقتله . . !

أما أنا فلست أدرى ـ ولست أحب أن أدرى ـ ما هو الحب . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

لا تفعل ، أيها الجنين البرىء . . !

***

أيها الجنين المسكين : حدثتُك عن الحياة والإنسانية والرحمة والعدل والحق والحرية والفضيلة والوفاء والسعادة والحب ـ كما تعرفها البشرية ، وكما أحبُّ أن تعرفها البشرية . . !

فهل تحاول المجيء إلينا . . ؟

بالله لا تفعل ، أيها الجنين البريء . . !

***

أيتها السماء !

ألا تحسّين ما يكابده قلبي من شوق إليك . . ؟

تالله لقد ضِقتُ ذرعاً بالحياة وما وعَتْ . . !

فمتى ، يا تُرى ، تدْعينني إليك . . ؟

خبريني ، أيتها السماء الخالدة . . !

* * *

هاهم الملائكة يغرّدون ألحاناً شجية ، يؤلف بين قلوبهم الطاهرة ذلك الحب الخالد العتيد . . !

وهاهم يتنقلون فى الفردوس ، يأكلون ثماراً شهية ، ويداعبون ـ فى براءة وطهر ـ أولئك الجوارى الحِسان . . !

أمّا أنا فكلما رأيتهم يحنّ قلبي شوقاً إليك . . !

فمتى ، يا تُرى ، تدْعينني إليك . . ؟

خبريني ، أيتها السماء الخالدة . . !

* * *

كلما رأيت ، في أحلامي ، ذلك الهدوء المخيّم على أرجائك الفسيحة ، وكلما رأيت الملائكة وهم يرقصون مع الحور العين على نغمات الموسيقى الخافتة ، وكلما رنّ في أذني صدى أصواتهم العذبة الحنونة وهم يشدون كالبلابل الصادحة ، وكلما رأيتهم وهم يتمايلون من نشوة الحب الطاهر البريء : كلما رأيت ذلك كله أو بعضه ، حسبتُ أن واحداً من هؤلاء الملائكة الأطهار سيهبط في تلك اللحظة إلى الأرض فيزيل أدرانها ويطهّرها من كل ما علق بها ، خلال هذه الدهور الطوال ، من الخطايا والآثام . . !

لكنني لا ألبث أن أفيق من غفوتي وأعود إلى صحوتي ، فأجد الأرض لا تزال على حالها ، وأجدني لا أزال حيث أنا ، على مسرح الحياة ، أؤدي الدور

الذى خصّصته لى الأقدار ، وأشاهد غيرى من البشر وهم يؤدّون أدوارهم ، كذلك . . !

هاأنت تتركيننى، هنا ، أكابد وحدى آلام الحياة . . !

فمتى ، يا تُرى ، تدْعيننى إليك . . ؟

خبرينى ، أيتها السماء الخالدة . . !

* * *

هؤلاء العرائس اللائى يصعدن إليك فى ليلة زفافهن ، طاهرات ، تزيْن جبينَهن الزهور والرياحين : أصحيح أنك تهبينهن أزواجاً من الملائكة . . ؟

وهؤلاء العرُس الذين يحرمون عرائسهم فى ليلة زفافهم وهم أشد ما يكونون شوقاً لأن يطبعوا على جبينهن الناصع الجميل قبلة الحب الخالدة : أصحيح أنك تهبينهم ، حينما يصعدون إليك ، عرائس من الحور العين . . ؟

ها أنت تتركينني ، هنا ، أقاسى وحدي آلام الحرمان . . !

فمتى ، يا تُرى ، تدْعينني إليك . . ؟

خبريني ، أيتها السماء الخالدة . . !

* * *

كم من بائس شقىٍّ فى هذه الدنيا ، صعد إليك فأصبح غارقاً فى لُجج السعادة والنعيم ، ودَّ لو استطاع أن يمنح إخوانه السابقين فى البؤس والشقاء جانباً من هذا الفيض العميم . . !

أصحيح أنك تسمَعين أنّات البائسين . . ؟

أصحيح أنك تحسّين آلام المحبين . . ؟

أصحيح أنك تخفقّين عن المرضى . . ؟

أصحيح أنك تعطفين على الفقراء . . ؟

أصحيح أنك تمسحين دموع الثكالى . . ؟

أصحيح أنك تعطين المحرومين .. ؟

ها أنت تتركينني ، هنا ، أكابد وحدى آلام الحيـــاة .. !

فمتى ، يا تُرى ، تدْعينني إليك .. ؟

خبريني ، أيتها السماء الخالدة .. !

***

كلما نظرتُ حولى ، هنا ، رأيت بشراً يودّون أن يأكلوا بشرا .. !

يا للفظاعة ، ويا للهول .. !

أتظنين أنني أكذب عليك .. ؟

كلاّ وحاشا ، فما كنت من الـكاذبين .. !

إن الذى يعيش اليوم فى هذه الدنيا لا يريد لغيره أن يعيش .. !

يرى الغنىّ اللقمة فى فم الفقير فيودّ أن ينتزعها من

بين أضراسه ، كأن الفقير لم يخلق فى هذه الدنيا إلا ليهلك من الجوع . . !

ويرى البَدين اللقمة فى فم الهزيل فيودّ أن ينتزعها من بين أضراسه ، كأنما لا ينبغى له أن يسمن إلا على هزال الآخرين . . !

أليس الذئب يأبى على الدجاجة أن تشاطره الحياة . . ؟

ألا تأكل السمكة الكبيرة غيرها من السمك الصغير . . ؟

ها أنت تتركيننى ، هنا ، أعانى وحدى رياء الانسانية وخداع الحياة . . !

فمتى ، يا ترى ، تدعيننى إليك . . ؟

خبريني ، أيتها السماء الخالدة . . !

***

أيتها السماء الرحيمة : صدقيني أني سئمت البقاء في هذه الدنيا . . !

فهل تأبين أن تدعيني إليك . . ؟

إذن فلتبعثي إلى هذه الدنيا بجانب من رحمتك ، كما تنقلب وحوش الانسانية الضارية إلى ملائكة رحيمة . . !

هنالك أستطيع البقاء . . !

أو لا تبعثي إليها بشيء . . !

وهنالك لا أستطيع البقاء . . !

لكنك تتركينني ، هنا ، أكابد وحدي آلام الحيـــاة . . !

فمتى ، يا ترى ، تدعينني إليك . . ؟

خبريني ، أيتها السماء الخالدة . . !

* * *

أيتها الانسانية

أيّ عذاب تلاقين من بنى الانسان . . ؟

وأيّ ظلم تلاقين من بنى الانسان . . ؟

وأيّ اضطهاد تلاقين من بنى الانسان . . ؟

لست أدرى : أيّ عزاء أستطيع أن أقدمه إليك . . ؟

خبرينى ، أيتها الانسانية المعذبة . . !

* * *

هذا «محمد» رسول الله بعثه الله ليهدى العالمين . . .

فماذا كان جزاؤه من بنى قومه . . ؟

إن هذا القلم الضعيف ليعجز عن أن يحيط بكل ما أصاب « محمداً » من أذى هؤلاء الذين تحمّل إيذاءهم واضطهادهم ، راضى النفس قرير العين ، لكى يخرجهم من الظلمات إلى النور . . !

لقد باعوه اضطهاداً بإحسان ، وخسروا ضلالاً فكسبوا هدى ، وذلاً فكسبوا عزّاً ، وانحلالاً وضعفاً فكسبوا سؤدداً ومجدا . . !

فأيّ عذاب تلاقين من البشر ، أيتها الانسانية ، فى سبيل هذه البشرية . . ؟

لست أدرى : أىّ عزاء أستطيع أن أقدمه إليك . . ؟

خبرينى ، أيتها الانسانية المعذبة . . !

* * *

وذاك « عيسى » نبىّ الله . . . أليست قصته الدامية ماثلة فى الأذهان . . ؟

أىّ اضطهاد لاقاه « عيسى » من البشر راضياً ، لكى يخلّصهم من خطاياهم وذنوبهم . . ؟

وأىّ تنكيل لاقاه « عيسى » من البشر باسماً ،

لكي يطهّر نفوسهم مما علق بها من الأدران والآثام . . ؟

فأيّ عذاب تلاقين من البشر ، أيتها الانسانية ، في سبيل هذه البشرية . . ؟

لست أدرى : أيّ عزاء أستطيع أن أقدمه إليك . ؟

خبريني ، أيتها الانسانية المعذبة . . !

***

سلي « فريداً » و« چان دارك » ، وغيرهما من أبناء الشرق والغرب ، كيف عاشوا معذبين وقضوا معذبين . . !

بل سليهما ، وغيرهما ، في سبيل مَن عاشوا معذبين وقضوا معذبين . . !

لقد استهانوا بالظلم لكي يخلّصوا مواطنيهم من براثن الظلم . . !

واستهانوا بالشقاء لكي ينقذوا مواطنيهم من مخالب الشقاء ..!

واستهانوا بالذل لكى يرفعوا عن مواطنيهم عار الذل ..!

فأى عذاب تلاقين من البشر ، أيتها الانسانية ، فى سبيل هذه البشرية ..؟

لست أدرى : أى عزاء أستطيع أن أقدمه إليك ..؟

خبرينى ، أيتها الانسانية المعذبة ..!

***

كم من شهيد أسلم الروح فى غياهب السجن ، دفاعاً عنكِ ..!

وكم من شهيد أسلم الروح فى غياهب السجن ، تشبثاً بمثلكِ العليا ..!

وكم من شهيد أذاب الأسى فؤاده ، وفتّت الكمد أحشاءه ، حسرة وأسفاً عليك .. !

فأى عذاب تلاقين من البشر ، أيتها الانسانية ، فى سبيل هذه البشرية .. ؟

لست أدرى : أى عزاء أستطيع أن أقدمه إليك .. ؟

خبريني ، أيتها الانسانية المعذبة .. !

***

أيتها الانسانية الحزينة الآسفة : كم من الضحايا يستشهد فى سبيلك ، وكم من الجرائم يُرتكب باسمك .. ؟

إن صاحب هذا القلم الضعيف ليتوسل إليك أن تأذنى له فى أن يجفف دموعك التى تنهمر على وجنتيك ، كالسيل ، منذ الأزل .. !

وإنه ليستمطر شآبيب الرحمة على أرواح شهدائك الأبرار .. !

وإنه ليضرع إلى الله أن يخلّصك من شرور بنى الإنسان .. !

وإنه ليرجو إليك أن تقولى لهذه الوحوش الآدمية : إذا كان شعارى « الرحمة فوق العدل » ، أفـلا تجعلون شعاركم « الرحمة فوق الظلم » .. ؟

لكِ رحمة السماء ، أيتها الانسانية المعذبة .. !

* * *

أيتها الحرية !

لِمَ تبكين .. ؟

كفكفي الدمع ، فما يجدي بكاء ولا عويل .. !

أما كفاك عزاء هذه الأرواح الطاهرة تصعد إلى بارئها فداء لك .. ؟

أما كفاك عزاءً هؤلاء الأبرياء يزجّون في أعماق السجون ، يقاسون مرارتها وآلامها ، في سبيلك .. ؟

ياللسماء ! ما أجملك ، أيتها الحرية ، وما أروعك .. !

ألستِ غذاء للأنفس ، وفَرجة للمكروبين .. ؟

تالله إن في الفؤاد لحسرة ، وإن في العين لَعَبرة .. !

فمتى تخلُصين من إسارك .. ؟

خبريني ، أيتها الحرية المكبّلة .. !

***

أنظري إلى هذا البلبل الطليق كيف يحلّق فى فضاء الكون الفسيح ، يغرّد أناشيد الهوى والهناء فيطرب العاشقين بصوته البديع ، ويمرح فى بحبوحة ورغد ، سعيداً هانئاً ، كأنه رسول السعادة إلى السعداء . . !

وانظرى إلى ذلك البلبل السجين كيف انزوى فى قفصه وحيداً كاسف البال ، يردّد أناشيد الحزن والألم ، ويبكى وينتحب ، حزيناً بائساً ، كأنه رسول البؤس إلى البؤساء . . !

ياللسماء ! ماأجملك ، أيتها الحرية ، وما أروعك . . !

ألستِ تبعثين الأمل والحياة فى نفوس توشك أن يقضى عليها اليأس فتذبل وريقاتها وهى ماتزال ، بعد ، فى ميعة الصبا وريعان الشباب . . ؟

تالله إن فى الفؤاد لحسرة ، وإن فى العين لعَبرة . . !

فتى تخلُصين من إسارك . . ؟

خبريني ، أيتها الحرية المكبّلة . . !

* * *

سلي هذا الطائر الذي يضعون له في قفصه كل ما يشتهيه الطير من غذاء شهيّ ، ينبئك أنه يفضّل أن يهلك من الجوع ، طليقاً ، على أن يأكل أشهى الطعام وهو سجين . . !

أليس الطعام الذي يضعونه للطائر في قفصه هو السم الزعاف . . ؟

أليس من الحق أن الذين يُسلبون نعمةَ الحرية إنما يموتون موتاً بطيئاً . . ؟

لخيرٌ لهم ألف مرة أن يعاجلهم الموت وهم أحرار كرام من أن يموتوا في الأصفاد ذلك الموت البطيء . . !

يا للسماء ! ما أجملك ، أيتهـا الحرية ، وما أروعك . . !

أليست الحياة كريهة بدونك . . ؟

تالله إن فى الفؤاد لحسرة ، وإن فى العين لعبرة . . !

فمتى تخلصين من إسارك . . ؟

خبرينى ، أيتها الحرية المكبّلة . . !

* * *

قالوا لفقير ينعم بك ولكنه لا يملك شروى نقير :

أتفضّل أن تقضى كل أيامك حرًّا فقيراً ، كما أنت ، أم تفضل أن تصبح خاضعاً لنا ونملّكك على هذه الديار . . ؟

قال : لئن أقضِ حياتى كلها فقيراً معدِماً ، أنعم بالسعادة مع أبناء وطنى فى بحبوحة الحرية ، خيرٌ لى ألف مرة من أن أصبح عبداً ذليلاً فى رداء ملِك . . !

يا للسماء ! ما أجملك ، أيتها الحرية ، وما أروعك . . !

أليس النسيم العليل بدونك هواء فاسداً ، لا يكاد الإنسان يستنشقه حتى يختنق . . ؟

أليس الفضاء الفسيح بدونك جحراً ضيقاً ، يكاد

يبدو للعين أضيق من جحر النملة ، بل أضيق من سمّ الخياط . . ؟

تالله إن فى الفؤاد لحسرة ، وإن فى العين لعَبرة . . !

فمتى تخلصين من إسارك . . ؟

خبرينى ، أيتها الحرية المكبّلة . . !

* * *

كل ما فى الوجود ينعم بك إلا الانسان . . !

من ذا الذى يستطيع أن يقول للشمس : لا تشرُق . . ؟

من ذا الذى يستطيع أن يقول للرياح : لا تعصفى . . ؟

من ذا الذى يستطيع أن يقول للأمواج : لا تزمجرى . . ؟

من ذا الذى يستطيع أن يقول للنبات : لا تنمُ . . ؟

من ذا الذى يستطيع أن يقول للبلبل :
لا تغرّد . . ؟

من ذا الذى يستطيع أن يقول للأسد :
لا تزأر . . ؟

لكنّ فرداً يريد حرباً يستطيع أن يجرّ وراءه
شعباً يريد سِلما . . !

يا للمذلة ، ويا للعار . . !

أهكذا يساق الرجال إلى حتفهم سوق الأنعام . . ؟

ياللسماء ! ما أجملك ، أيتها الحرية ، وما أروعك . . !

ألستِ تعلميننا العزة والإباء . . ؟

تالله إن فى الفؤاد لحسرة ، وإن فى العين لعَبرة . . !

فمتى تخلصين من إسارك . . ؟

خبرينى ، أيتها الحرية المكبّلة . . !

* * *

لـكل رسالة فى الحياة رجل فى أمّة ، وفى عصر من العصور ...

أما أنت فلك فى كل أمة رجال ، وفى كل العصور ..!

من لى اليوم بزغلول (الشيخ) ومصطفى (الشاب) وفريد وفولتير وروسو وچان دارك ، وغيرهم من الأبطال المجاهدين ، الذين نُقشت أسماؤهم على قلوب مواطنيهم بأحرف من نور ، هو نور التضحية والعظمة والمجد والفخار ، ينبئونك كيف كانوا يسترخصون الموت ، ويستهينون بالتنكيل ، ويستمرئون الشقاء ، ويستعذبون الآلام ، ويستطيبون السّجن والنفى والتشريد ، فى سبيلك .. ؟

ياللسماء ! ما أجملك ، أيتها الحرية ، وما أروعك ..!

ألستِ ترفعين عن البشرية عار الذل والعبودية .. ؟

تالله إن فى الفؤاد لحسرة ، وإن فى العين لعبرة .. !

فتى تخلصين من إسارك .. ؟

خبرينى ، أيتها الحرية المكبلة .. !

* * *

ها هى روحى تطير إليك لتشاطرك آلامك وأوجاعك التى تقاسينها اليوم فى « فلسطين » الشهيدة المجاهدة ، حيث يعتدى عليك دعاة الحرية والسلام كما يعتدى ذئاب البشرية على عفاف العذراء البتول ..!

هؤلاء الرجال الذين يصوبون إليك سهامهم فى قسوة وغلظة كبد ، لو قدرت أمهاتهم أنهم سيذهبون ضحيتك يوماً ما ، للففنهم فى لفافة المهد لفاً محكماً ، ولما سمحن لهم بأن يروا بأعينهم نور الحياة .. !

تالله لو قدر للدماء التى أريقت فى سبيلك على مدى الأيام أن تتجمع كلها اليوم فى مكان واحد ،

لما وسعتها كل هذه المحيطات .. !

يا للسماء ! ما أجملك ، أيتهـا الحرية ، وما أروعك .. !

أليست شجرتك هي أغلى وأعز شجرة فى الوجود ، لأنها لا تروى إلا بالدماء ولا تتغذى إلا بالأرواح .. ؟

تالله إن فى الفؤاد لحسرة ، وإن فى العين لَعبرة .. !

فمتى تخلصين من إسارك .. ؟

خبرينى أيتها الحرية المكبّلة .. !

***

أيتها الحرية المضطهدة : ما شهدتك يوماً تنفكّين من إسار إلا ليكبّلوك فى إسار .. !

لست أدرى : ما خطب نعاج البشرية يستأسدون عليك ، كأن بينك وبين أمّهاتهم ثأراً من قديم الأزل .. ؟

تالله لو كانوا أحراراً كراماً لعلموا أن سواهم من

البشر قد ولدتهم أمهاتهم ، كذلك ، كراماً أحرارا . . !

لـكن هؤلاء الثعالب الذين يلبسون لك مسوح القديسين الأبرار ، إنما هم — فى الحقيقة — عبيد المادة ، وإن تراءوا للملأ فى ثياب الأحرار . . !

قولى لهؤلاء العبيد ، إذن ، واصرخى فى وجوههم : ليست الحرية ، يا هؤلاء ، أن يملك الناس الأرض وما عليها ، إنما الحرية أن يعيش الناس أحراراً ، وأن يتركوا سواهم من البشر يعيشون ، كذلك ، أحرارا . . !

***

أيها البؤساء !

هل علمتم أنكم إخوانى الأعزاء وأصدقائى الأوفياء . . ؟

وهل علمتم أن روحي لا تستطيع أن تفارقكم لحظة واحدة . . ؟

ها أنذا أراكم أمامى ، دائماً ، لأنى أعيش معكم وإن كنتم لا تشعرون . . !

عجباً ! مالى أراكم واجمين . . ؟

ألستم لى مصدّقين . . ؟

لكأنى بكم تقولون إنى أجهل من عساكم تكونون . . !

ألا عزاء لكم ، أيها البؤساء المساكين . . !

***

ألستم أولئك اللقطاء يأتون إلى هذا العالم المنحوس ، لا يعرفون لهم أباً ولا أماً ، فتتلقفهم يد المقادير ، تطوّح بهم من مكان إلى مكان ، وتُلقى بهم آونةً بين أيدٍ رقيقة رحيمة ، وأخرى — وهى الغالبة — بين أيدٍ غليظة قاسية . . ؟

أجل ! شأنهم فى ذلك شأن الريشة تُلقى بها ريحٌ رعناء فى بحر خضمٍّ هائج ، فتتلقّاها موجة رحيمة هادئة ، لا تلبث أن تلقى بها إلى أخرى قاسية هو جاء ، فتظل هذه تداعبها كما يداعب الأسد فريسته الوادعة وقد ألقت بها الأقدار بين مخالبه ، حتى إذا أسال الجوع لعابه ، وكان الأمل فى النجاة قد شرع يداعب قلب فريسته البائسة ، قلب لها ظهر المجن ، وطوّح بها فى جوفه إلى قرار سحيق . . !

ألاَ عزاءَ لكم ، أيها البؤساء المساكين . . !

* * *

ما أجمل حنانك ، أيتها السماء ، وما أروعه ، حين ينادي الطفل أمه ، باكياً ، فتلبّي نداءه ، مسرعةً ، وتمنحه من عطفها وحنانها كل ما أودعَت الطبيعة قلبَها الرقيق . . !

أيتها السماء ! أأقول : وما أشد قسوتك . . ؟

معاذ الله ، فما كنت من الكافرين . . !

ما أشقاكَ ، إذن ، أيها الطفل البائس ، وما أتعسك ، حين تنادي أمّك ، باكياً ، فلا يلبّي نداءك المحزون صوت ، ولا يحنو على فؤادك المكلوم قلب . . !

إلهي ! أي ذنب جناه هؤلاء البؤساء ، خبّرني ، حتى لا يقول « إبليس » اللعين لعبادك الأبرياء إنك — تعاليتَ — تكيل لهم بكيلين . . ؟

ألاَ عزاء لكم ، أيها البؤساء المساكين . . !

* * *

ألستم أولئك المنبوذين تلفظهم هذه الانسانية

الكاذبة ، لأنهم يأبون إلا أن يقولوا لها ، فى شجاعة وإباء ، إنها خادعة مخاتلة . . ؟

أجل ! ويظلون هائمين على وجوههم فى فضاء الله الفسيح ، تتنكر لهم الدنيا كلها كما تنكرت لهم أوطانهم ، فكلما حلّوا بأرض يتجهّم لهم أهلها ، كأنما قد دمغتهم الانسانية فى وجوههم بلعنتها « المقدسة » ، وعزّ عليها أن يكون هؤلاء الأشقياء بين أبنائها الموعودين . . !

ألا عزاءً لكم ، أيها البؤساء المساكين . . !

***

ألستم أولئك اليتامى يفقدون أهلهم وهم ما يزالون يرتعون فى بحبوحة الطفولة الباسمة ، فيصبحوا من بعدهم بلا ناصر ولا معين . . ؟

ياللرحمة ! مالى أراكِ قد قطّبتِ جبينك ، أيتها السماء ، فى وجوه هؤلاء الأبرياء المساكين . . ؟

لكنك لا تلبثين أن تمنحيهم ابتسامة العزاء ، فتكون بلسماً شافياً لجراحهم الدفينة ، ومنها يستمدون القوة والعون على البقاء . . . حتى إذا ماعوا وترعرعوا ألقت بهم المقادير بين أمواج الحياة الصاخبة ، يتخبّطون في دياجيرها تخبُّط الأعمى إذ يسير من غير عكازته ، يضحكون تارة مع الضاحكين ثم يبكون طوراً مع الباكين ، وينعمون تارة مع الهانئين ثم يتوجعون طوراً مع المحزونين ..!

ألا عزاء لكم ، أيها البؤساء المساكين . . !

***

ألستم أولئك المعوزين يطرقون أبواب الأثرياء وهم يودّون — من ذلّ السؤال ومرارته — لو يلفظون آخر أنفاسهم قبل أن يمدّوا أيديهم مستجدين مستعطفين ، فلا يلقون إلا أفئدة غليظة تردّهم في قسوة وعنف وجفاء ، ولا يحجم أصحابها — مع ذلك — عن

أن يشيّعوهم بنظرات السخرية والاشمئزاز والازدراء .. ؟

أجل ! ويظلون هكذا ، متنقلين من باب إلى باب ، فلا يكون نصيبهم من الواحد بأفضل منه من سابقه ، وكأن الأبواب — لكثرة ما شاهدت من جفاء أصحابها — قد أبت ، هي الأخرى ، إلا أن تشيّعهم بنظرات السخرية والاشمئزاز والازدراء ... حتى إذا أوشكت حمرة الحياء والخجل أن تلهب وجوههم ، وكادت الحسرة أن تفتّت أكبادهم وتصهر قلوبهم ، وأوشك النصب والإعياء أن يستنفدا منهم كل ما يملكه الجائع من قوة وجهد ، نكصوا على أعقابهم ، لا يبتغون من فضل الله ورزقه إلا أن يصادفوا ، إلى حيث مأواهم في العراء ، بعضاً من فتاتٍ لعلّ أن تكون قد خلّفته لهم جماعة من كرام الكلاب أو أسخياء الذئاب .. !

ألاَ عزاء لكم ، أيها البؤساء المساكين .. !

***

ألستم أولئك المحبين يبذلون كل قطرة من دماء قلوبهم فى هوى من يحبونهن ، حتى إذا ما أوشكوا أن يجنوا ثمار هذا البذل السخي ، عجّلت يد المنون بخطف من أحبوهن ، فكأنما هى قد انتزعت قلوبهم من بين أضلعهم فى قسوة لا يعلم هولها إلا الله . . ؟

أجل ! ثم يقضون الشطر الباقى من حياتهم — علم الله ، إنه لقصير — باكين منتحبين . . . حتى إذا أفنوا زهرة شبابهم بين البكاء والنحيب ، ونثروا آخر ريحانة فى بساتينهم على قبور من أحبوهن ، أسلموا أنفسهم إلى الموت راضين مبتهجين للقائهن ، وعلى وجوههم الشاحبة علامات البشر والفرح والسرور . . !

ألا عزاءً لكم ، أيها البؤساء المساكين . . !

***

أيها الإخوان الأعزاء : أحقاً أنكم واهمون . . ؟

أجل ! فأنتم تتوهمون أنكم وحدكم أشقياء

بائسون ، وأن كل من عـــداكم من البشر سعداء.
هانئون . . !

كلاّ ، يارفاق! فكلّ من فى هذا الوجود من البشر أشقياء — مثلكم — بائسون ، ولكن البؤس والشقاء. منازل ودرجات ، وكل ماميّزتكم به الأقـــدار على سواكم من البشر أنكم قد بلغتم من البؤس والشقاء. أقصى الدرجات . . !

ألا عزاءً لكم ، أيها البؤساء المساكين. . !

* * *

أيها الحقل !

مالى أراك حزينــــاً مكتئباً ، كأن لم تكُ باسماً بالأمس . . ؟

إيه أيتها الحياة الخادعة : لبئس ما أنت . . !

مالأولئك الأثرياء ، الذين طالمـا تطلعوا إليك بنظرات يخالجها الشىء الـكثير من الزلفى والملق ، ونفوس تداعبها الأمانى العذبة وتختلج فيها الآمال الـكبار ، ينظرون إليك اليوم شزْرا . . ؟

ألستَ أنت الذى شيّدتَ قصورهم وعمّرتَ مدائنهم ، وكنتَ صاحب اليد الطولى فى بناء مجدهم وثرائهم . . ؟

ماذا دهاهم ، إذن . . ؟

أجـل ! مالى أراهم يرمقونك اليوم بنظرات ملؤها اللعنة والسخط ، وقــــد استولى على نفوسهم

الجزع ، ودبّ فى قلوبهم دبيب اليأس والقنوط ..؟

إنهم هم الذين تغيروا ، ولكنك أنت باقٍ على وفائك كما عهدوك . . !

لك حبي ووفائى ، أيها الحقل الحزين . . !

***

لَأنت فى صمتك الوديع ، وتواضعك الجم ، أبلغ فى العظمة والكبرياء من هذه القصور الشامخة والمدائن الصاخبة ، التى إن كانت قد أكسبت نفوسنا شيئاً فإنما قد أكسبتها الزهد فى زخرف الحياة ، والعزوف عن مظاهر المدنية الكاذبة وبريقها الخداع . . !

لكم طالما أطعمتَ جائعاً وكسوت عارياً ، وكنت — حتى فى أشد أوقات الضيق والحرج — كريماً ، تعطى السائل وتغيث الملهوف . . !

فلماذا ، إذن ، أراك حزيناً مكتئباً ..؟

تُرى : هل كنتَ تنتظر من بنى الإنسان شيئاً
سوى العقوق والجحود والنكران . . ؟
لك حبي ووفائى ، أيها الحقل الحزين . . !

***

أجل ! ولديك العزاء ، أيها الحقل الكريم ، مادام هذا الفلاح البائس المسكين يحنو عليك ، ويضمك — فى عطف ورثاء — إلى صدره العارى إلا من القناعة والزهد والثقة بالله . . !

لكم طالما سمعتُه ينشد لك فى وقت الرخاء ، بألحانه الريفية العذبة ، أناشيد الأمل الباسم والسعادة الوارفة . . !

وها أنذا أراه اليومَ يجثم إلى جانبك باكياً منتحباً ، كما تنتحب الأم على فلذة كبدها وقد أحاله المرض شبحاً من شدة الهزال . . !

هدّئ من روعك ، إذن ، ولا تحزن ولا تكتئب ، فما تزال فى الدنيا بقية من الوفاء . . !

لك حبي ووفائى ، أيها الحقل الحزين . . !

***

حينما أمعن النظر إليك ، أرى ابتسامة هادئة تعلو شفتيك ، تنم عن هــــذا الحزن الذى يخالج قلبك الكبير . . !

ثغرك الباسم كثغر العذراء ، ومروجك الزاهية السندسية الخضراء ، وهذه الطيور التى تشدو حواليك بألحان الودّ والصفاء ، وهذه الشمس التى تسطع عليك بأشعتها الذهبية من كبد السماء ، وهذا « النيل » الذى يتخايل فى أعطافه بين أحضانك كما تتخايل الغـادة الحسناء ، ويتمايل متهادياً ـ مثلها تماماً ـ فى زهو وعُجب وخُيلاء . . .

لست أدري : أهذه فردوس دُنيانا ، أم هى جنـة « آدم » و « حواء » . . ؟

بالله عليك كن باسماً أبداً ، ولا تبأس ولا تكتئب . . !

لك حبي ووفائي ، أيها الحقل الحزين . . !

***

من منّا لم تلقّنه العذارى دروس الهوى بين مروجك السندسية وأعشابك الخضراء . . ؟

ألا تزال تذكر ، يا تُرى ، ذلك العهد القديم ، الذي قطعَتْه على نفسها ـ بشهادتك ـ تلك العذراء الفاتنة تحت ظلال الزيزفون . . ؟

وهلاّ سألتَها إن كانت ماتزال مقيمة على العهد ، مثلى ... أم عهود الصبا ، يا تُرى ، تعبث بها يد الزمان ..؟

يا للسماء ! ما أجمل الذكرى ، وما أحلاها . . !

بل ما أجمل عهد الصبا ، وما أحلاه . . !

تالله لقد طال حنيني إليك ... فلا تبأس ولا تكتئب ، بالله عليك . . !

لك حبي ووفائى ، أيها الحقل الحزين . . !

***

ألا تذكر ، أيضاً ، إحدى ليالى الربيع الجميل ، وقد كان الظلام الرقيق مخيّماً عليك فى سكون بديع ، وكان القمر حزيناً والسماء صافية ، إذا فتاة ريفية حسناء — قد خدش الظلامَ فى فؤاده الرقيق نورُ وجهها الوضّاء ، فلم أدر ، حين رأيتُها ، إن كان نورها قد انعكس على وجه القمر ، أم أن القمر ، ساعتئذٍ ، قد أشعّ على وجهها نوره وسناه — تغرّد لحن الصبابة والهوى فى الفضاء ، فتردّد ألحانَها المشجية طيور السماء ، وقد خُيّل إلىّ أن أشجانها قد مزّقت نياط قلبها الرقيق ، كأنما هي قد اتخذت من أوتاره الحساسة قيثارة تنشد عليها ألحانها الحزينة الباكية . . . حتى إذا ما اقتربت منى ، ولم يكن أحد فى تلك الليلة يناجى الدّجى سواى ، سألتها : ما خطبك أيتها الحسناء ؟ فقالت : لقد برّح بى الهوى ، فجئت أبثّ لوعتى ، وأشكو سهدى وصبابتى ، إلى هذه الحشائش الخضراء ، علّنى أجد بينها واحدة قد برّح بها الداء ، مثلى ، فأبادلها دمعة بدمعة

وشكوى بشكوى وعزاء بعزاء . . !

يا للسماء ! ما أجملك ، أيها الحقل ، وما أعظمك . . !

هاهي الحسناء قد هجرت وسادتها لتشكو إليك داءها ، فتعود إلى خدرها وقد سرّيتَ عنها ، وكنت لها نعمَ المواسِى ، ولدائها نعمَ الدواء . . !

لك حبي ووفائى ، أيها الحقل الحزين . . !

***

أيها الحقل الكريم : كفاك فخراً أنك سيد هؤلاء الناس أجمعين . . !

ألستَ مصدر أنعُمِهم وصاحب الفضل العميم . . ؟

لا تبأس ، إذن ، ولا تكتئب . . !

لك حبي ووفائى ، أيها الحقل الحزين . . !

***


خواطر

لاحياة لامرئ لا يخلّف وراءه أثراً من أعماله ؛

ولا حياة لامرئ لا يؤمن بأن له رسالة في الحياة لابد أن يؤديها بأيّ ثمن .

* * *

إنه ليُسعدني أن تأتي اللحظة التي أستطيع فيها أن أضع تشريعاً يؤدي إلى خير الانسانية وتخفيف ويلاتها ... أو أن تأتي اللحظة التي أرى فيهاهذا التشريع قائماً ، أيّاً كان واضعه .

علي محمد مراد

الإهداء

إلى أرواح شهدائنا الأبرار ، الذين غمطنا ذكراهم
.فحق علينا سخطهم وسخط الأجيال المقبلة !

* * *

وإلى تلك التي أدمَتْ فـــؤادي فخلقَتْني خلقاً
.جديداً . . . تلك التي سيخفق قلبي بذكرها ما حييت !

* * *

وأخيراً : إلى ولدي وفلذة كبدي « فداء الوطن
.مراد » ... جعله الله ـ حقاً ـ فداء لهذا الوطن المفدّى !

على سعد مراد

— ١ —

إن بلداً لا يخلّد ذكرى شهدائه ، لا يستحق الوجود .

* * *

الأماني يتعذر تحقيقها ما لم يصحبها السعي المتواصل .

* * *

ليس من العار أن أعترف بأن علة شقائي أنني لا أستطيع أن أجمع بين لقمتي وحريتي ، ولكنّ العار أن أرضى بذلك ولا أجاهد لتبديله .

* * *

لن تستشعر اللذة في تأدية الواجب إلا إذا كلّفك ذلك غاليا .

* * *

أكثر الناس خيراً من يعمل صامتاً ، وأقل منهم خيراً من يعمل أكثر مما يقول ، وأقل من هؤلاء .

خيراً من يعمل بقدر ما يقول ، وأقل الناس خيراً من يقول أكثر مما يعمل ، ولا خير فيمن يقول ولا يعمل .

***

ليس من نزاهة الرأى أن تحكم على إنسان أنت بعيد عنه .

***

كبرياء المرأة فى احتفاظها بعفتها وشرفها ، وكبرياء الرجل فى احتفاظه بشرفه وعزته وكرامته .

***

لو تجاوزت المرأة عن بعض هفوات زوجها لاستطاعت أن تعيش أسعد ماتكون ... فإذا أخطأ كان لها أن تنبهه إلى خطئه ، لكن فى رفق ولين وأدب .

***

الموت والزواج كلاهما شر لا بد منه . . . والخير كل الخير فى تبكيره .

***

ما أحسست اللذة فى شيء مثلما أحسستها فى
دموعي تنسكب فى سكون الليل ، فى رفق وهوادة .

***

الأمم فى حاجة دائماً إلى أناس يعطونها ولا يأخذون،
أوهم على الأقل يعطونها أكثر مما يأخذون .

***

إنى لا أرهب الموت ، ولكنى أرجو أن يتمهل
ريثما أؤدى واجبى لهذا الوطن .

***

العاقل من يستفيد من زلاته ... وإن فى وقوع الخطأ
لفرصةً لمن ينشد الكمال .

***

العاقل من يحذر الصديق قبل العدوّ

***

من الناس من لا يقنعون بمغالطة أنفسهم ، بل
كثيراً ما يحلو لهم أن يغالطوا الناس أيضاً بأقوالٍ أوضحُ
ما فيها هو الكذب .

***

من الناس من يتوهم أنه مستطيعٌ أن يَكُون شيئاً ، على حساب أناس هم فى الحقيقة شىء .

***

الفقر مع الشهامة والشرف خير من الغنى مع الخسة والعار .

***

اجتهد دائماً فى ألّا تتذكر ما يؤلمك .

***

لست أستطيع أن أعرف السعادة ، مادمت أرى أن الحياة فى مجموعها تتكوّن من جزئيات الحياة .

***

إن قلبى لا يستطيع أن يتحمّل كل آلامى ، ولذا فإنى سريع الفناء .

***

لو أن روحاً أخرى قد شاطرتنى الحب ، لخففت عنى نصف آلامي !

***

لو لم تغمرنى المرأة بفيض من عطفها وحنانها ، لما أحسست آلام غيرى كما أحسها الآن .

* * *

أرى الحبّ كزهرة نبتت فى روضة من أحبّ : إن شاءت روتها بماء الحب فأحيتها ، وإن شاءت أعرضت عن سَقيها فأماتتها .

* * *

الحب صناعة تجيدها المرأة ، وتلقّنها عادةً لمن تريد أن تستهويه من الرجال .

***

البلاد المستعبدة فى حاجة دائماً إلى أناس من أبنائها يقومون بتنفيذ الفكرة فى نفس اللحظة التى تختمر فيها فى رؤوسهم ، لأن ترك تنفيذها للزمن يؤدى غالباً إلى التخلى عنها .

* * *

ما أقسى الأقدار : توقع الناس فى الخطأ ، ثم هم يحاسبون بعد ذلك على وقوعهم فيه !

* * *

قد تأخذ باللين مالا تستطيع أن تأخذه بالعنف .

* * *

بعض الناس يتظاهرون بالغيرة على الفضيلة عندما يرتكب الرذيلة سواهم !

* * *

يُحرَم الفقير جمالَ ذات الغنى والجاه ، مثلما يُحرَم

الطفل ـ لفقره ـ فاكهة يحبها ويتلهف عليها : كلاهما تذيبه الحسرة وتقتله مرارة الحرمان .

***

أعتقد أن أبله الناس من يثق بقول إنسان غير شريف ، وعلى الأخص بقول امرأة غير شريفة .

***

خير لى ألّا أكون ، من أن أكون مالا ينبغي أن أكون .

***

ليس يؤلمنى قط أن أطعن بيد من أحبّ ، لأنى أعرف أن هذه الدنيا لا يمكن إلا أن تكون لئيمة غادرة .

***

لو لم أكن أشد عطفاً على أناس غيرى منى على نفسي ، لما وجدت ضرورة للبقاء فى هذه الحياة .

***

أليس حراماً على القلوب الرقيقة أن تعذِّب قلوباً أرقَّ منها ؟

* * *

ما خُلقت الآلام إلّا لقلبي ، وما خُلق القلب إلاّ لدموعي ، وما خُلقت الدموع إلّا لعيني .

* * *

الدمع قطرات من دم القلب بخّرتهـــــا حرارته فتصاعدت ، ثم تكاثفت فتساقطت من مقلة العين دمعا .

* * *

إعجب ما شئت ، فإنك مهما عجبت فلن تعجب لشيء مثلما تعجب لأمّة تبذل المهج والأرواح فى سبيل الحرية . . . حتى إذا نالتها ، أبَتْ على غيرها حتى أن تكون الحرية لها حُلما !

***

ألستَ تعجب أكثر من ذلك لأمّة تطلب الحرية بغير ثمن ، كأنما الأمة التى تُطلْب منها قد نالت حرّيتها بغير ثمن ؟

***

لم أر فى الدنيا أحطّ من أناس يحبّون لأنفسهم ما يأبون إلا أن يحرّموه على غيرهم .

***

أحقر الناس وأخسّهم من عاش لنفسه فقط .

***

لو لم أُشغل بسعادة هذا العالم عن سعادتى ، لما مرّت بخاطرى واحدة من خواطرى .

***

لا أرى فى الناس من يعيشون عالة على أمتهم كأولئك الذين لا يفكرون .

***

إذا كنت أحب السعادة لأولادى ، فإنى أحبها لزوجى ؛ وإذا كنت أُحب لهم الشقاء ، أحببته لها .

***

لو عرف الأعزاب قدر الأبناء عنـــــد الآباء ، لتزوّجوا جميعا !

***

قد يُتقِن الفلاسفة كل شيء فى الوجود ، إلا أن يكونوا أزواجا !

***

ما الحب إلا روح من عند الله : إذا أودع قلب إنسان إيّاه ، صيّره نصف إله !

***

إنه ليُفقِد قيمةَ الخير أن تنتظر عليه أجراً من الناس .

***

يُخيَّل إلىّ أن الدنيا — نظراً لقدم عهدها — قد فسدت وتعفّنت !

***

تختلف النفوس ارتفاعاً وانحفاضاً باختلاف درجة تعلُّقها بالمادة : فكلما هبطت هذه الدرجة ازدادت النفس ارتفاعاً ، وكلما ارتفعت ازدادت النفس انخفاضا .

***

ما كان الغِنَى متماساً للسعادة يوماً من الأيام : فمن

الفقراء من هم أقرب إلى السعادة من كثير من الأغنياء .

* * *

لا يخسر الانسان شيئاً فى هذه الحياة إلا كسب من وراء خسارته أكثر مما خسر .

* * *

كلما احتدم الخلاف بين شخصين ، كان هذا الاحتدام داعياً إلى تصافيهما ، لأنه يكشف نفس كل منهما عما كانت تحجبه من أشياء ، لولاه لما قُدِّر لها أن تظهر .

* * *

كثيراً ما تدفع الانسانَ كرامته إلى أن يأتى أشياء لا يوافق على صدورها منه .

* * *

خيرٌ لك ألف مرة أن تسكت ، من أن تجيب المرأة على سؤالها !

* * *

لـكل إنسان ثلاث شخصيات : شخصية عامة ، يعرفها جميع الناس ؛ وشخصية خاصة ، لايعرفها إلا الأخصّاء ؛ وشخصية أخصّ ، لايعرفها غير صاحبها .

***

الوطنية إحساس سماوىّ تودع العناية الإلٰهية إيّاه نفوسَ قوم يعزّ عليهم أن يتبدّل وجودهم فى الحياة عدمًا، أو تصبحَ حياتهم ذلاًّ وحسرة وندما .

* * *

ليست الآجال إلا أياماً تنقضى ؛ وليست الأيام إلا محناً تجتازها الأمم ، كما يجتازها الأفراد ، على السواء .

* * *

لو أدرك الناس كيف تهزأ منهم الأقدار ، لمرّت عليهم الأيام ثِقالا .

* * *

بعض الناس يحملون أعباء الحياة وهم فى المهد !

* * *

إذا أضحكَتْك الدنيا يوماً ، فكن على حذر من أن تُبكيك أياما .

* * *

ما كافح إنسان إلا استراح بعد طول الكفاح .

***

ليس من الهيّن على النفس أن يخسر الانسان ، فى طرفة عين ، احتراماً اكتسبه طول أيام حياته .

***

إذا فرّط الانسان فى جزء من حقه ، أضاع بهذا التفريط كل حقه .

***

قد يورث الشر خيراً ؛ وقد يورث الخير شرا.

***

من الغفلة أن يسائل الانسان نفسه كيف يفرّ الأصدقاء من وجهه فى أيام محنته .

***

مما هو أمعن فى الغفلة أن يرى الإنسان من

أصدقائه من يفرّ من وجهه فى أيام محنته ، حتى إذا انقضت عادوا إليه ... ثم هو ـ مع ذلك ـ يصطفيهم ثانية ، كأن شيئاً مما كان لم يكن !

* * *

بعض الناس يأبى أن يواجهك بما يضمره لك — إمّا جُبناً منه ، وإمّا لؤما ... ولو أنه واجهك به ، لربما ارتضيتَه : وهؤلاء هم الأنذال .

* * *

أُحبّ أن يصدّق الناس أن الدنيا ـ على مافيها من شر كثير ـ مازال فيها ، كذلك ، خير كثير .

* * *

إنه لَأدب رخيص ذلك الذى يساوم عليه صاحبه ..

* * *

فى وسعى أن أقول إن الموسيقى هى همزة الوصل
بين الله والبشر .

***

الحب ضعف فى الرجـل والمرأة ، على السواء .

***

يقولون إن الحياة مدرسة . . . ولكنى أستطيع أن أقول إن الحياة جامعة ، بها من مختلف الكليات ما يجلّ عن الحصر.

* * *

قد تمرّ على الانسان لحظاتٌ ، يحسبها — لشدة هولها — دهورا .

* * *

ينبغى أن نقابل المصائب بجنان ثابت وقلب مطمئنٍ ونفس راضية .

* * *

ثقتنا فى عدالة الله هى عزاؤنا الوحيد فى هذه الحياة .

* * *

ليس حتماً أن تسىء إلى من أساء إليك ، بل ربما كان من الخير أن تحسن إليه .

* * *

يكون الانسان ناجحاً فى الحياة بمقدار مالديه من القدرة على حسن التصرف .

* * *

بعض الأغبياء يتخذون من الكبرياء ستاراً يحجبون وراءه غباءهم ... لكنه ستار يشفّ عن هذا الغباء ولا يحجبه .

* * *

قد يكون من الصعب أن تحاول معاملة الناس بمثل معاملتهم لك ، لأنك لاتستطيع مخالفة سجيّتك .

* * *

من الناس من لايحب أن يكلف نفسه عناء ، حتى فى قَشْر البيضة قبل أ كلها !

* * *

لست أحتقر فى الحياة شيئًا مثلما أحتقر المادة .

* * *

كثيراً ما فتّشت عن الشهامة والمروءة بين الناس فلم ألمس لهما أثرا .

* * *

أرى الشاعر والفنان — كليهما — كبلبل يحلّق فى سماء الله الواسعة . . . كلما كانت السماء صافية ، أشبعنا شدواً وترنيما .

* * *

المرأة تجذبك إليها بقدر ما تحاول الابتعاد عنها !

***

قد تُبدِى لك المرأة من وسائل الإغراء ما يخيِّل إليك أنك قد اقتربت منها . . . والحقيقة أنك كلما توقّعت الوصول إليها ، ألفيتَ البون بينكما مازال شاسعا !

* * *

ليس شيء فى الوجود أطوع للمرأة من دموعها ؛ أما الرجل فقد تجمد الدموع فى عينيه ، حتى فى أشد حالات الحزن والأسى : وهذا هو السر فى أن دموع المرأة كثيراً ما تكون زائفة .

***

السعادة الحقة أن يوفقك الله إلى التخفيف عن الانسانية المعذبة

***

نعيب على التمساح أنه يبتلع الانسان ، كما يبتلع كل ما يصل إلى فمه — إذا جاز لنا أن نسميه فما . . . أليس فى العالم المتحضر اليوم دول كالتماسيح ؟

***

فى بعض أركان هذا العالم — قد تكون بعيدة ومظلمة — أناس يعملون فى صمت وهدوء ، لا تحس بهم الجماهير ، مثلما تمر النملة تحت قدميك دون أن يقع عليها بصرك . . . وفى لحظة واحدة — بعد أعوام قد تقصر أو تطول — يتزلزل العالم فجأة ، فإذا بهؤلاء الناس يطلون عليه من سماء عظمتهم ساخرين !

***

كثير من الناس يعتقدون أن العظماء تخلقهم ظروف خاصة . . . ولـكنى أعتقد أن العظماء يولدون كذلك ، وليس للظروف الخاصة من فضل إلا فى أن تـكشف عن عظمتهم للجماهير ، بعد أن ظلّت سراً محجوباً عنهم زمناً ليس بالقصير .

* * *

فى أكواخ حقيرة ـ قد اختفت عنهـا الشمس واحتجب القمر ، كما خيّم على ساكنيها الفقر وضُربت عليهم الذلة والمسكنة ـ يحاول أن يختبىء ، تحت الأسمال القذرة ، جمالٌ أكسبه الحياء روعة وبهاء ، وزاده الخفر فتنة وإغراء ، كما أسبغ عليه الفقر منعة وإباء . . . أما يُخرج التراب لنا تبراً ؟

* * *

ليس عجباً أن تـكون السعادة كلمة نقولها ، لا حقيقة نلمسها ؛ إنما العجب كل العجب أن يصبح

الشرف كلمة نقولها ، لا هيكلاً مقدساً ينبغي أن نحفظ له قدسيته واعتباره .

* * *

لا يورث الكفرَ شيء مثل الحرمان ... لكنّ العاقل من رضي بما أصابه .

* * *

بعض الناس يصدّقون كل ما يُلقَى عليهم من قول : وهؤلاء هم البلهاء .

* * *

ما تريده المرأة يريده الشيطان أحيانا !

* * *

أمور كثيرة تتحالف على تقييد حريتك — الزواج أشدها وأقساها .

* * *

للحياة صور كثيرة؛ وهـــذه الصور متعدّدة الألوان.

***

فى الدنيا أمور كثيرة، من الخير أن تظل جاهلاً إياها؛ لأنك لو عرفتَها، لتبـــدّلتْ هناءتك بؤساً وسعادتك شقاء.

***

هنالك أناس صدورهم كالبحار: يودعها البؤساء آلامهم ليستريحوا، فتتغمّدها فى سكون وهدوء.

***

قصور شامخة، تـكتنفها الحدائق الغنّاء؛ تطلّ على مياه الغدير الرقراقة الصافية، وتغرّد حولها البلابل والعصافير؛ فى حدائقها من كل فاكهة مشتهاة وكل طائر

جميل ؛ لم يُحَرم ساكنوها الجمالَ والغنى والحب ، ولكنها تخلو من عصافير الله : وهذا هو سرّ شقائهم ... أليس الأطفال هم عصافير الله فى الأرض ؟

* * *

لا يشجّع الظالمين على الولوغ فى ظلمهم إلا اعتقادهم أنهم يقيمون العدل بين الناس !

* * *

كما أن العدوّ العاقل خير من الصديق الجاهل ، فكذلك العدوّ العاقل خير من النفس الجاهلة .

* * *

اصطلح الناس على أن يحتل الكهنة ورجال الدين أسمى مكانة فى نفوسهم ... لكنّ هنالك أناساً آخرين يحتلّون ، كذلك ، هذه المكانة فى نفسى ؛ هم

القضاة ورجال القانون : أليس هؤلاء هم الذين يؤدّون رسالة العدل الإلهي للبشر ؟

* * *

ليس تهذيب البنت أن نلقّنها مختلف العلوم والفنون ونعلّمها مختلف اللغات ، ثم نتركها بعد ذلك نهباً للشيطان ؛ إنما تهذيب البنت أن نحيطها ـ فوق ذلك ـ بسياج مكين من تعاليم الدين ، وأن نغرس فى نفسها مبادىء الفضيلة والخلق الكامل .

* * *

لا تحافظ المرأة على شيء مثلما تحافظ على زينتها .

* * *

هل يكتم الحبّ إلا من عرف قدر الحب ؟

* * *

أرى أن حياة الانسان يومٌ يتكرر ؛ وهى — لذلك — أشبه شىء بدوران الثور حول الساقية !

* * *

اجتهد دائماً فى أن تجعل نظرتك إلى الحياة أبط أماهى .

* * *

اجتهد — كذلك — فى ألّا تدع دقيقة واحدة من وقتك تُفلت منك .

* * *

يجدر بنا أن نتّخذ من الصبر حليفاً لنا على الشدائد .

* * *

العاقل من يحاول دائماً أن يدرك عيوب نفسه فيتجنّبها .

* * *

لشدّ ما تدفعنا الغريزة إلى إدراك عيوب غيرنا ،

بينما هى تُعمينا عن إدراك عيوبنا .

* * *

نحسّ ثم نفكر ثم نفعل ... وأظهر ما فى هذا أن القلب كثيراً ما يتحكم فى أعمالنا .

* * *

إذا كانت التضحية دليلاً على سموّ النفس ، فإن الكرامة دليل أعظم .

* * *

أحطّ ما فى الحب الشهوة ؛ وأسمى ما فيه التضحية وإنكار الذات .

* * *

أليس من السخرية أن نرى الرجل سهل الانخداع فى تصديق المرأة ، وأن نرى المرأة شديدة الحذر فى تصديق الرجل ؟

* * *

إذا قالت لك المرأة إنها تحبك ، فثق أنها تضحك منك : لأن المرأة إذا أحبتك ، حاولت ـ بكل ما أوتيت من دهاء ـ أن تخفى عنك حبها ، خوفاً من أن تتيح لك فرصة إذلالها ؛ وقد تقول لك إنها تكرهك !

* * *

الانسانية كالعلم والفن والأدب : ليس لها دين ولا وطن .

* * *

إذا كان الحب يكلّفنا غالياً ، فإن الحرية تكلّفنا أغلى .

* * *

رسالة القلب أسمى من رسالة العقل : فإذا كان العقل يؤدى رسالة العدل الإلٰهى للبشر ، فإن القلب يؤدى لهم رسالة الرحمة ... أليست الرحمة فوق العدل ؟

* * *

المرأة تفكّر بقلبها قبل أن تفكر بعقلها ، وكثيراً ما تفكّر بالقلب وحده ؛ أما الرجل فإنه يفكر بعقله قبل أن يفكر بقلبه ، وكثيراً ما يفكر بالعقل وحده : ومن ثَم كانت رسالة المرأة أسمى من رسالة الرجل .

* * *

قد يصادف بعض الأمم ، كما يصادف بعض الأفراد ، لحظات ، لو أحكم استغلالها تغيَّر وجه التاريخ .

***

ألستَ تعجب لرجل القانون يخالف القانون ، ورجلِ التربية يحيد عن الأخلاق ؟

***

هنالك أناس لا أنت تستطيع أن تضمن خيرهم ، ولا أنت تستطيع أن تتّقى شرّهم !

***

صديقك من يواجهك بالحقيقة ، وإن كانت أحياناً مُرّة المذاق .

***

قد يكون بين أصدقائك من تتمنى لو تستبدل به عشرة من أعدائك !

***

قد يورث الفقر عزّاً ؛ وقد يورث الغنى ذلّا .

***

لا تذبُل النفس إلا من حلم يتبدد .

***

الغادة التى تتّجر بجمالها سريعة الذبول .

***

لا تتجلّى قسوة الطبيعة فى شيء مثلما تتجلّى فى قلوب الغيد !

***

عيون المحبين تفضح قلوبهم .

***

أسائل أهل الهوى : أليس الحب احتلالاً للقلوب ؟

***

كأنى بالقلب يستمد حرارته من الشمس : فهو أبداً مستعرّ !

***

لو عرف كل فرد فى العالم واجبه فأدّاه ، لاختفى العناء من هذا الوجود .

* * *

الإحساس بالمسئولية هو حساب الضمير .

* * *

عهدى دائمًا بالسعادة أن تكون شديدة البخل ، وبالشقاء أن يكون عظيم السخاء : فالسعادة تأبى أن يشاطر صاحبَها إياها إنسان سواه ، حتى ولو كان أحبَّ الناس إليه وأعزّهم لديه ؛ أما الشقاء فإنه يأبى إلا أن يصيب حتى من شاء سوء طالعه أن يصادف صِنْوَه فى طريقه !

* * *

لا يحسّ فجيعةَ الوالدين إلا والدان .

* * *

أعجبُ لأناسٍ يفرّون من الإخلاص ، مع أنه تجارة رابحة بدون رأس مال !

* * *

ليس حتماً أن يصيب تقدير الانسان فى كل الأمور .

* * *

أعجبُ ما فى الحياة أنّ كل واحد منا — حتى المجانين — يُقنع نفسه دائماً بأنه أعقل الناس !

* * *

من الناس من يحب أن يتعجّل الثمر ، حتى لَيودّ أن يأكله فِجّا .

* * *

عاشق الجمال أشد جشعاً من عاشق المال : فعاشق المال يحب أن يستولى على كل ما فى الدنيا من مال ؛ أما عاشق الجمال فإنه يحب أن يستولى على كل ما فى الدنيا والآخرة ـ معاً ـ من جمال !

* * *

وطّدْ مستقبلك — أولاً — وثبّتْ دعائمه ، ولا تفكر أثناء ذلك فى المرأة . . . ثم لا بأس — بعد ذلك — من أن تفكر فيها كما تشاء .

* * *

الذى يدلّ على أن جاذبية المرأة أشد من جاذبية الرجل ، أنك لا تكاد تجد المرأة التى تحب رجلاً يعشق سواها ، فى حين أنك تجد كثيراً من الرجال يحبون نساء يعشقن سواهم !

* * *

لغة الهوى لا يفهمها إلا من عالج الهوى

* * *

لاأحب شيئاً فى هذه الدنيا كما أحب أن يسود الوئام والصفاء والمحبة والإخاء بين البشر .

***

لست أدرى ماذا جناه النمل حتى يأبى علينا كبرياؤنا وقسوتنا إلا أن نطأ ألوفه بأقدامنا فنقتلها ، دون أن تتحرك فينا عاطفة الشفقة والرحمة : كذلك يأبى كبرياء بعض الأفراد وغطرستهم ، وغلظتهم وقسوة قلوبهم ، إلا أن يهلك ألوف الأبرياء من البشر على مذبح مطامعهم وشهواتهم !

***

أرى الفلاسفة وأعلام الفكر كالشمس : تحترق لتضىء العالم .

***

حساب الضمير دليل على الإيمان بالبعث .

***

بعض الناس يودّون أن يقتنعوا ليستريحوا ، وهم لذلك فى حاجة إلى دليل ليقتنعوا ؛ فإذا قُدّم إليهم هذا الدليل ، رحّبوا به وأظهروا استعدادهم لقبوله ، حتى ولو كانوا يشكّون فى صحته !

***

أرى المحب كاليمامة : لا تأنس إلى غير أليفها .

عذوبة حديثهنّ الحلو ، وملائكية صوتهن الجميل ، وسحر لحظهن الجارح ، وخفة روحهن التى ترفرف علينا بأجنحتها كما ترفرف علينا ملائكة الرحمة : هذه كلها تُنسينا هموم الحياة .

***

ليس أحبَّ إلى قلوبنا ولاأشهى إلى أفئـدتنا من أن نتعبّد فى محرابهن تَعَبُّدَ الناسك !

* * *

لو علِمْن أن أحـلامهن السعيدة لا يبعثها إلا شقاء أرواحنا ، لأشفقْن على أرواحنا من سعادة أحلامهن !

* * *

قلب المرأة كثير التقلّب مثلها .

* * *

يخيَّل إلىَّ أن القلب ماسُمِّىَ كذلك إلا لأنه قلّب !

* * *

حكمة الرحمة ألا يزول الإيمان من قلوب البشر .

* * *

الانتحار وسيلة العاجز .

***

ما دام الموت محتومًا ، فسيَّان عنـدى أن يجىء مبكراً أو متأخرا .

***

لا أحسّ بالحياة إلا لأنى أفكر فيها ؛ أما الذين لايفكرون فى الحياة ، فهم فى الحقيقة أموات .

***

حينما يحلّق الشاعر فى سمـاء الخيال ، يرى الناس كلهم أقزاما !

* * *

قد يكون خير الأمور ما يحزن ، وشرّها ما يفرح .

* * *

كثيراً ما يندم المرء على ساعة الغضب .

* * *

أشد ظروف الحياة قسوة على رجـــل العاطفة والوجدان أن يشترك مع رجل المادة فى أمر واحد .

* * *

تمر على بعض الناس لحظات يتمتعون فيها بالسعادة ، أعتقد أنها محسوبة عليهم بسنوات من أعمارهم ؛ ولذا فان هؤلاء يكونون عادة قصيرى الأجل !

* * *

كفى المرء سعادة طول حياته أن ينعم فيها بالحب لحظة واحدة !

* * *

لقـد جرّبت الحب فوجدته عظيم اللذة شديد

القسوة ، ثم هجرته فوجدت هجره أعظم لذة وأشد قسوة !

* * *

ألذّ ما فى الحب دمعة ، وأقسى ما فيه صدّ وحرمان .

* * *

أرى أن لذة الحب فى البعد أعظم منها فى القرب .

* * *

ما أضعفنى الحب إلا لأقوى !

* * *

أحبُّ أن يفكر الانسان فى الخير لنفسه من طريق أن يفكر فيه لغيره .

* * *

من أغرب ما رأيت أن الأمر يكون منطقياً وعادلاً فيقولون لك إنه ليست له سابقة ... لست أدرى : أكانت لهذه السابقة سابقة ؟

* * *

أحببت الحياة فألفيتها تكرهنى ، فأحببت الموت فألفيته — كذلك — يكرهنى ... ولا أزال معلّقاً بين الحياة والموت !

* * *

لا يتعلّق بأهداب الحياة إنسان يحيا بغير أمل .

* * *

أحبُّ أن يظل وفائى بعد موتي عنواناً لقلبي

* * *

يعيبون علينا أننا نحب : ألسنا نفحة من روح الله ، كالملائكة ؟

* * *

غاية السعادة للمحب أن يفنى فيمن يحب .

* * *

يحنُّ المحب إلى حبيبه حنينَ الرضيع إلى ثدي أمه .

* * *

ما أشهى وأعذب الحكم علينا بالإعدام يصدر من بين شفاههن !

* * *

كلمة منهن تميتنا ، وكلمة تحيينا !

* * *

أعتقد أن الأمواج المتلاطمة أشـد رحمة بنا من عطفهن !

* * *

لست أدرى ماأنا : أكائن يحيا ، أم كائن يفنى !

***

أرواح البؤساء تلتقى كلها في العالم الآخر فى مكان واحد وزمان واحد !

***

من المصائب مايذهب باللب ؛ وكثيراً ما نتساءل عن وجه الرحمة فى وقوعه ... ولكنّ هنالك وجهاً من وجوه العدالة العليا يخفى علينا ؛ ذلك أن المصائب كالأرزاق : وإن لم تكن موزّعة بين الناس جميعاً بالتساوى ، إلا أنهم سيتقاضون الفرق أو يؤدّونه ـ حتماً ـ فى العالم الآخر .

***

ليس للإنسان عدوٌّ فى الحياة ينبغي أن يخشاه ، كنفسه .

***

يُخيَّل إلىّ أن جحيم القلب أشد سعيرًا من جحيم الآخرة !

* * *

قلب الرجل أسرع ما يكون تسليماً للمرأة ؛ أما قلب المرأة فإنه شديد العناد .

* * *

لست أدرى كيف تجرؤ المرأة على أن تصوّب سهامها إلى قلب من يحبها وهي تعلم أنها متربعة على عرشه ، فتصيب نفسها بيدها !

* * *

لست أدرى ، كذلك ، كيف تستطيع المرأة ـ مع وداعتها ورقّتها ـ أن تمزق قلب من يحبها لتخرج منه !

* * *

يتفاوت حبّنا لهن بقدر تفاوت أرواحهن !

* * *

الحب أسعد نهاية تفنى فيها الروح .

* * *

لو طلب إلىّ الشر أن أقدّم له نفسي فداء للعالم لـكى يختفى من هذا الوجود ولا يعود إليه مرة ثانية ، لما تردّدت فى تقديمها إليه ، لأن فى هذا تحقيقاً لأكمل سعادتي : فلست أتمنى شيئاً فى الحياة كما أتمنى الخـير للبشرية كلها .

* * *

نحن الآن فى زمان أصبح فيه الضعيف يمالىء القوىّ على أخيـه الضعيف ، مع أن أُولى مبادىء الفضيلة والانسانية تقضى بأن ينصر الضعيف أخاه الضعيف .

* * *

إنى لاأعُدّ رجلاً إلا كل من يقدّر معنى الشرف .

* * *

العاقل هو الذى ينظر إلى الحيـاة بعين الأمل المصحوب بالريبة والشك .

* * *

لو كاشفنا القدر بما يضمره لنا ، لكنّا أكثر استعداداً لمقابلة المصائب .

* * *

الألم مفتاح النفس : إن شابته الرحمة ، كان دليلاً إلى الخير والسعادة ؛ أما إذا لم تَشُبه الرحمة ، فإنه يكون دليلاً إلى الشر والشقاء .

* * *

لولا إحساس النفس بالحزن ، لما كان إحساسها بالفرح ؛ ولولا إحساسها بالألم ، لما كان إحساسها باللذة ؛ ولولا إحساسها بالشقاء ، لما كان إحساسها بالسعادة .

* * *

لو أن من تُحِب قد تذوّق طعم الحب ، مثلك ، لعرف السر فى كثرة بكائك !

* * *

قلب المرأة لايخضع إلا لرجـــــل واحد ، مهما كثر محبّوها .

***

الحب كلمة لايقولها الرجـل إلا لامرأة واحدة ؛ أما المرأة فقد تقولها لألف رجل !

***

الحب لايعرف سناً ولا بيئة ولاجنسية ولادينا .

***

القبر هو المكان الوحيد الذى يستطيع جسدى أن يستشعر فيه الراحة والهدوء ؛ والموت هو الشىء الوحيد الذى تستطيع نفسى أن تستشعر فيه السعادة والهناء .

* * *

من البلاهة أن أنتظر الرحمة من إنسان مثلى ، فنحن الآن فى زمان قد خلت من الرحمة فيه قلوب البشر .

* * *

أودّ لو أن الذى يتيه فوق الأرض خيلاء — يملأ الكبر أوداجه المنتفخة ، حتى ليتأفف من أن تلوّث الأرض بأوحالها قدميه الطاهرتين — يدرك أنه من الأرض وإلى الأرض !

* * *

من الناس من يحب أن يتظاهر بالزهد فى الاعلان عن نفسه وهو أشد الناس رغبة فيه !

* * *

من الناس من تُقدّم لنا أعماله كل يوم دليلاً جديداً

على أنه نذل جبان ، وهو ـ مع ذلك ـ يأبى إلا أن يسجل الناس أعماله فى سجل الشجاعة والشهامة والكرامة والشرف !

* * *

كثيراً ما يكون كلام المرأة سماً معسولا !

* * *

إنى شديد الحذر من المرأة ، وإن كنت أحسن الظن بها أحيانا .

* * *

كثيراً ما تخدع المحبين قلوبهم !

* * *

الحب أوّله مزْح وآخره جِدّ : أوّله ابتسامة وآخره دَمعة .

* * *

أظهر ما فى الحب أنه يفاجىء صاحبه ، بحيث لا يتيح له فرصة التفكير قبل أن يحب .

* * *

يحتل الحب فى نفس صاحبه منزلة الطفل لدى والديه إذا كان وحيدهما : كلما نما وترعرع ، تفتحت له مغاليق قلبيهما ؛ فإذا مات قبل أن يستكمل مرحلة الحياة ، مات معه قلباهما .

* * *

وهل يحتاج الحب إلى جمال ؟

* * *

لا يحسّ آلام البائسين إلا البؤساء .

***

لست أرجو من الحياة سوى دمعة واحدة فوق قبرى .

* * *

خيرٌ لى أن أعيش شقياً فى عالم أحلامى ، من أن أعيش سعيداً فى هذا العالم الموبوء .

* * *

لابد أن أبكى من الحياة دائماً ، حتى لا أسمح لها بأن تضحك منى مرة واحدة .

* * *

لن أموت إلا ساخطًا على هذه الدنيا ؛ ثم فلينكّل بى بعد ذلك كيفما كان ، فلن يكون ذلك أشد من تنكيل الحياة .

* * *

من المزح ماقد يكون أشد لذعاً من الجِد .

***

لايصيب المرء من أحلامه إلا ماتصيبه قبضة يده من الماء : إذا فتحها ألفاها خاوية .

***

مثل المرء فى هذه الحياة كمثل نملة تسير على خيط عُلِّق طرفاه فى شاطئيْ بحر هائج : إذا هزتها نسمة، لم تلبث أن تسقط ، فتتلقفها أمواجـه المتلاطمـة إلى حيث لاقرار .

***

لو أن الإنسان وهو فى صحته تذكَّر كيف يكون وهو فى مرضه ، لخفّف كثيراً من حدّته وغلوائه .

***

ما أطمع الانسـان وما أجحده : يطلب الشىء

فيناله ، ثم يطلب غيره فيناله ، فيطلب غيره فيناله ؛ ثم هو ـ مع ذلك ـ لاينتهي له طلب . . . فإذا ماعجز عن أن ينال طلباً بعد ذلك ، لم تسمع منه حمداً على ما نال ، بل سخطاً من أجل مالم ينل !

***

الأيام كالأمواج : تجرف أمامها كل شيء .

* * *

لا أشعر بالسعادة إلا فى التضحية وتأدية الواجب .

* * *

لو أن الانسان خُلِق بدون قلب ، لما كان شيء أسرع من هذه الحياة إلى الفناء .

* * *

كما أن القلب مصدر السعادة ، فهو كذلك مصدر الشقاء .

* * *

من ألوان الشقاء أن يصدمك الحب صدمة قوية تذهب بثباتك ، فتحاول التماس الخلاص من أثر هذه الصدمة بالزواج المعجَّل ، ولا تتردد فى أن تتزوج من أول فتاة تصادفك ؛ ثم لا تلبث بعد ذلك أن تحس بالحقيقة

المزة : وهي أن هذه الفتاة التى تزوجتها ليس لها من قوة الجاذبية والتأثيرما كان لتلك التى أحببتها ، فلا تلبث أن تحس بخيبة الأمل فى هذا الزواج ؛ ثم يظل شبح الحب جاثماً فوق قلبك دائماً ، يهدد حياتك بين آونة وأخرى . . . وهكذا تقضى بقية أيامك فى شقاء لا ينقطع .

***

الشباب يحبون بالوجدان وحده ؛ أما الشيوخ فإنهم يحبون بالعقل والوجدان معاً : وهذا هو السر فى أن عاطفة الشباب سريعة الاندلاع ، شديدة الغليان ، سريعة التبخر .

***

أصحيح أن من لا يذوق طعم الحب يحيا بغير قلب ؟

***

إذا شئت أن تنسى مَن تحب ، فعليك أن تعتقد أنها تستطيع أن تحيا سعيدة بدونك .

***

كثيراً ما تشوّه الغيرة سعادة المحبين ، لاعتبارات غالباً ما تكون وهمية .

***

ما أطمع النساء وما أجحدهن : تالله لو صُغْنا لهن من حبّات قلوبنا قلائد يزيّنّ بها أجيادهن ، لما كفاهن ذلك دليلاً على حبّنا لهن !

***

ليست حياة الأسد كلها زئيراً وعبوساً ، بل هنالك سويعات يحلو له فيها أن يناجى نفسه ويداعب أحلامه !

***

قد يمازح الأسد أحياناً ؛ لـكنه مزاح لا يؤمن جانبه .

***

الرجـل بأخلاقه ، لا بماله ؛ والمرأة بأخلاقها ، لا بجمالها .

***

المرأة كالأفعى : إذا برئ الانسان من لدغتها الأولى ، لا يأمن أن يسلم من لدغتها الثانية .

***

المرأة أخلص ما تكون إليك قبل أن تخلص إليها ؛

ولـكنها سرعان ماتتقمص بعـد ذلك فى جلد الأفعى

* * *

المرأة لاتُكثر من توسّلاتها إليك إلا لتستولى على ناصية قلبك ؛ ثم هى بعد ذلك تشيح عنك بوجهها لأتفه الأمور

***

قد يكون من الحكمة أن تخلص للمرأة بلسانك قبل أن تخلص إليها بقلبك .

* * *

إذا أردت أن تسيطر على قلب المرأة فاكبح جماح قلبك ولا تطلق له العنان .

* * *

المرأة لاتعانى فى سبيل النسيان مايعانيه الرجل من الآلام ، لأنها سريعة التحوّل .

* * *

المرأة تريد ماتفعله ، أكثر من أن تفهم معناه !

***

قد تبدى المرأة من مظاهر الغـيرة على زوجها مايحسبه آية على حبها له ؛ لـكنها فى الحقيقة غيرة مبعثها الأثرة والأنانية وحبّها لنفسها ، أكثر مما يكون مبعثها حبها له : ذلك لأنه كعصفور فى يدها ، تخشى أن يفلت منها !

***

تقضى كل نفس أيامها فى الحيـاة ما بين خادعة ومخدوعة .

* * *

قد تخلق الآلام من النفس البسيطة نفساً أخرى أعظم منها تكوينا .

* * *

للألم لذة لا يعرفها إلا المحب .

* * *

لذة الألم إذا زالت من القلب ، فإنهـا لا تُنسى أبد الدهر .

* * *

للعقل سطوة يخفف من حدّتها القلب ؛ وللقلب ثورة يخفف من حدتها العقل .

* * *

إذا اشتـد الـكفاح بين القلب والعقل ، فإن

النفس تذعن للذى يكون أشد مراساً من صاحبه

* * *

ليس أجدر بالرثاء من عاطفة تبدّدت ، بعد أن وُجدت من أجـل شخص بعينه .

* * *

لـكي تتمتع النفس بلذة غير مشوبة بالألم ، عليها أن تتّقى الحب .

* * *

قلما يتفق الحب فى القدر : فكثيراً ما يكون عند أحد المحبّين أقوى منه عند الآخر .

* * *

لقد علّمنى الحب كيف أُحترم نفسى .

* * *

لذة المقاومة أعظم من لذة الخضوع .

* * *

المرأة أشد ألغاز الحياة غموضا .

***

لا يؤمن الرجل بحب المرأة إلا فى حنوّها وعطفها ؛ ولا تؤمن المرأة بحب الرجل إلا فى ذلته وخضوعه .

***

المرأة إن أخلصت وفت ، وإن غدرت فهى شديدة الانتقام . . . وقليلاً ماتخلص .

***

لكى تعرف قلب المرأة ، عليك أن تشكّ كثيراً فى صدق أقوالها .

***

نحن الآن فى زمان قد يرى الناس فيه الباطل حقاً، والحق باطلا .

***

إذا كان التفكير منشأ السعادة ، أحياناً ، فإن التنفيذ هو الطريق الموصّل إليها .

***

يستطيع الطّموح أن يبلغ غايته ، إذا لم يقف بطُموحه عندها ؛ وقد يتخطّاها إلى ما بعدها .

***

يدرك المرء السعادة إذا وقف بمطامعه عند الغاية التى ينشدها فيبلغها ؛ وهيهات أن تقف مطامع الانسان عند غاية بعينها !

***

العاقل هو الذى يستفيد من تجاريب الحياة ،
يستغلّ الفرصة عند سنوحها .

* * *

من الحماقة أن يعرف الإنسان طريق الشر ، ومع
ذلك يسوق نفسه إليه !

* * *

السعادة الزائلة شقاء دائم .

* * *

الجسم قابل للانصهار ، ما دامت تسكنه الروح .

* * *

الدمع لسان الحب الناطق .

* * *

الحب أسمى معانى الحياة وأجملها وأروعها ؛ وهو
رمز الوجود ، وسرّ بقائه وتجدّده .

* * *

الحب مصدر الفنون والآداب .

* * *

لا يكون الحب صادقاً إلا إذا تبادلته القلوب .

* * *

يُشفق المحب على حبيبته من لمس النسيم ، إشفاقَ الأم الرؤوم على طفلها الرضيع .

* * *

مهما قوبل المحب بالغدر فإنه لا يجب أن ينتقم !

* * *

من الحماقة والضعف أن يهب الرجل قلبه لامرأة تعبث به متى شاءت .

* * *

تتغلب علينا عواطفنا وطبيعـة إحساساتنا أكثر مما يتغلب علينا أى شىء آخر : فقد يأتى الفلاسفة وأهل الحكمة ـ تحت تأثير إحساس معين ـ أموراً قد لا يتصور الإنسان صدورها عن طفل لم يتجاوز العاشرة !

* * *

الفيلسوف الحق هو الذى يستطيع أن يخاطب كل إنسان بالمنطق الذى يفهمه .

* * *

النفس إما مادية جامـدة ، وهى التى تجرى وراء المادة ؛ وإما روحية حساسة ، وهى التى تسعى وراء الفن والخيال . . . والأولى أبعـد ما تكون عن حقيقة السعادة ، لأنها لا تعرفها ؛ غير أنها قد تصادف فى الحياة نجاحاً أكثر مما تصادف الثانية .

* * *

أعتقد أن النفس الروحية أكثر إنتاجاً من النفس المادية .

***

العزلة هي خير ملاذ للمرء من شرور الحياة .

***

ليس أقسى على النفس من أن يحب الانسان حباً قوياً صادقاً دون أن يحس به حبيبه

***

لو أن كلمة أخرى شغلت من فراغ الكتب والصحف والمجلات ، بل ومن أذهان الفلاسفة والمفكرين على اختلاف منازعهم ، مثل ماشغلت كلمة « الحب » ، لكانت بحق معجزة الدهر كله !

***

كثيراً ما تضعضع الحقيقة بعد الزواج ـ كما تضعضع المسئولية ـ من قوة الحب الذي طالما أجّج الخيال أواره .

***

لا يميت الحب إلا عدم الوفاء .

***

المرأة لا تحس بلذة الحب إلا فى إذلالها لمن يحبها ؛
والرجل لا يحس بلذة الحب إلا فى عطفه على من يحب .

***

ما الحياة إلا خداع : فكلنا شقى منكود ، ويتظاهر بأنه سعيد مجدود !

* * *

لو عرف الانسان حقيقة الدنيا لاحتقرها ؛ ولو أدرك حقيقة العالم لاعتزله .

* * *

ألذ شىء للنفس أن تبثّ آلامها من يستطيع أن يحسّها مثلها .

* * *

خيرٌ لمصر أن توصف بأنها بلد متوحش ، وأن يكون عقاب الزانى والزانية فيها هو الاعدام أو مافى حكمه ، من أن توصف بأنها بلد متمدين ،وشرف نسائها ورجالها فى الرّغام !

* * *

مع أنى أعرف أن دموع المرأة هي سلاحها الوحيد الذى تتغلب به على الرجل ، ومع أنى أصمم فى بعض الأحيان تصميماً قوياً على ألا أتأثر بها ، فإنى ـ مع ذلك ـ أضعف لمجرد رؤيتها تنحدر من عينيها !

* * *

المرأة تعلّمك الحب ، ثم تتركك بعد ذلك تتخبط وحدك فى دياجيره !

* * *

الحب كالموت : كلاهما يُجرّد فيه الانسان من إرادته ... غير أن الانسان قد يفكر فى الموت أحياناً ؛ أما الحب فإنه يأتيه دون سابق تفكير فيه .

* * *

قد يخلق الحب من النفس الواحدة نفسين متباينتين .

* * *

لا دواء للحب غير العقل .

* * *

قلب المرء مِلاك حياته .

* * *

إحذر قلبك ، فإنه كالثعبان الخبيث : إذا أنت أضمرت له العداء ، لم تأمن لدغه .

* * *

القلب الطاهر هو الذى لا يأوى إليه الشيطان ... وهيهات أن تهتدى إليه !

* * *

لست أعشق فى الحياة شيئاً كما أعشق الحرية ؛
ولست أمقت شيئًا كما أمقت الاستعباد .

* * *

الحرية بغير النظام هى الفوضى بعينها .

* * *

الاعتداد بالنفس هو أول درجة فى سلّم العظمة .

* * *

إذا كان الناس لا يتكلمون اليوم إلا بلغة المادة ،
فليس حتماً علىّ أن أفهم لغتهم .

* * *

كثيراً ما أسائل نفسى : لو كنت غنيًا ، وسنحت لى
الفرصة لكى آتى من أعمال الخير والبر أقصى ما أستطيع ،
هل كنت أحجم عن ذلك ، مهما كلفنى من مال ؟ . . . لا شك
فى أنى لم أكن أتردد فى ذلك : ومن ثَم لم يكن هناك داعٍ

لهذا التساؤل ، لولا أنى أرى كثيراً من الأغنياء يكدّسون أموالهم الطائلة فى المصارف ، فى حين أنهم لو سمحوا لأنفسهم أن يسألوا الكثير من العاهرات عن سبب احترافهن البغاء ، لأجبنهم على الفور بأنه الفاقة والعوز .

* * *

بعض الناس يتألمون لأتفه الأمور ، لأنهم ـ كما يدّعون ـ مرهفو الحسّ ؛ ولكنهم ـ فى الوقت نفسه ـ لا يبالون بأن يأتوا من الأمور ما يؤلم سواهم ، لأنهم يعتقدون ـ على ما يظهر ـ أن الله قد اختصهم بالحسّ المرهف الدقيق ، دون غيرهم من البشر !

* * *

كثير من الفلاسفة ورجال الفكر يناقضون آراءهم بأفعالهم : فنهم ـ مثلاً ـ من يرى أن الحب شرّ وبلاء ، ثم هو ـ مع ذلك ـ يحب !

* * *

مهما بلغت المرأة من الثقافة ، فإن قلبها يتحكم فى حياتها أكثر مما تتحكم فيها ثقافتها .

***

وددت لو أن الرجال يخففون بعض الشيء من غلوائهم فى تملق النساء والتعلق بهن ؛ ففي هذا ـ فضــــلا عن الاحساس القوى بكبرياء الرجولة ـ صون لكرامتهم ، وفى بعض الأحيان ، لكرامة المراكز التى يشغلونها فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

***

يخيّل إلىّ أن الحب يضيّق الخناق بشدة على تفكير صاحبه ، بحيث لا يسمح له أن يفكر فى شىء ما ـ جلّ أو هان ـ إلا تحت تأثيره . . . وفى رأيى أنه يجدر بالمحبين أن ينفضوا رؤوسهم بين الفينة والفينة ، لكى يخلصوا من هذه السيطرة الشديدة رويداً رويدا ، فيستطيعوا

أن يَخْلوا إلى أنفسهم قليلاً ليحاسبوها على ما قدّمت تحت تأثير هذه السيطرة ، وليروضوها على الخلاص من هذه السيطرة يوم تهب العاصفة على حبهم فيُخشى أن تنتزع قلوبهم من بين ضلوعهم.

* * *

شرّ ما تبتلى به الحرية أن ينالها على أيدى أنصارها من الأذى مالا ينالها على أيدى ألدّ أعدائها .

* * *

إذا كانت الحياة عزيزة وغالية ، فإن الوطن أعزّ وأغلى .

* * *

كم يذوب فؤادى حسرة وأسىّ إذ أرى أخلاق قومى سريعة الانحلال ، ولا أكاد أرى بينهم من تأكل الغيرة عليها قلبه فيحميها من هذا الانحلال السريع .

* * *

لا حياة لامرىء لا يخلّف وراءه أثراً من أعماله ؛ ولا حياة لامرىء لا يؤمن بأن له رسالة فى الحياة لا بد أن يؤديها بأى ثمن .

* * *

سمعت بالأمس من يقول إن المجد لا بد أن يجنى ثمرة جده ؛ لكن فى وسعى اليوم أن أقول إن كل شىء قد تغير مع الزمن ، فنحن الآن فى عصر قد يشرب فيه المجد كأس اليأس مريرة علقماً ، حتى الثمالة !

* * *

كلما تقدمت بنا السن ، وجب علينا أن نكون أكثر شعوراً بالواجب وإدراكاً للمسئولية .

* * *

لو أن الانسان قد فكر فى ألا يفعل الخير إلا مع من هو أهل له ، لما فعل الانسان خيرا !

* * *

رُبَّ دميم الخلقة ، حالك الوجه ، يكون قلبه أرق من النسيم ؛ ورُبَّ جميل المحيّا ، يحاكى البدر فى سناه ، قُدَّ قلبه من صخر !

* * *

أرواح المحبين — كأرواح البؤساء — تلتقى كلها

فى العالم الآخر فى مكان واحد وزمان واحد !

* * *

القلب كالزهرة : فكما أن الزهرة تتفتح إذا رواها الماء ، فكذلك القلب يتفتح إذا رواه الجمال .

* * *

إخال الحبيب يحلو له دائماً أن يتنقل من قلب إلى قلب : كأنى به يسأم الإقامة فى قلب واحد ، كما يسأم الانسان الإقامة فى مكان واحد !

* * *

من عجيب أمر الحب أنه لا يكتفى بأن يرفع صاحبه ، وحده ، إلى مصاف الحكماء والشعراء ومن فى منزلتهم ، بل هو يأبى إلا أن يرفع من يحبها صاحبه ، أيضاً ، إلى هـذه المنزلة : فأنت ترى المحب وقد نظم قصيدة رقيقة فى حبيبته ، أو كتب فيها قطعة من النثر الرقيق ، يحملها إليها فى خفة وفى لهفة شديدة ليعرضها

عليها ، كأنما هي قد بلغت من الثقافة وسعة الخيال مبلغه ، فيتلوها عليها المرة تلو المرة ، وهي تتظاهر أثناء ذلك — جذلة — بأنها تفهم ما تسمع . . . وهكذا يعود المحب إلى حبيبته كلما نظم أو كتب فيها شيئاً ، ليتلوه عليها ، فلا يزال بها حتى يجلو الصدأ الذي يعلو نفسها وعقلها ، فتراها وقد أصبحت هي الأخرى — بالمراس — شاعرة أو ناثرة !

ماالحياة إلا حياة الروح : ومن ثَمّ كانت الحياة الحقّة هى ما بعد الموت .

* * *

لست أعجب لشيء مثلما أعجب لقوم ينظرون إلى الشر كأنه مفتاح السعادة التى يخبئها المستقبل لهم ولأوطانهم بين طياته : هكذا ينظر اليومَ قادة الشعوب إلى الحرب ، كما لو كان السلْم مفتاح الشقاء !

* * *

تستطيع القوة أن تمتلك العالم ماديًا ، ولكنها لاتستطيع ـ مهما بلغت ـ أن تمتلكه روحيا .

* * *

لاحقّ فى الحياة لشعب لايكون بين أبنائه من يبني مجده بكل ماملكت يداه .

* * *

إن شعباً يبيت على الضيم راضياً ، لخَليق أن تلتهمه نيران البراكين .

* * *

لم يُغمض لى الحب جفناً فيما مضى ؛ أما اليوم فإن حبي لبلادى لا يسمح لجفنى بأن يذوق طعم الكرى إلا فى الهزيع الأخير من الليل ، عندما يغلبنى النعاس على أمرى بعد طول السهر .

* * *

يقولون إن الأذن تعشق قبل العين أحيانا ؛ وأقول إن التصور قد يعشق قبلهما : فقد يحب الانسان واحدة يتحدث عنها سواه ، دون أن يكون قد رآها أو سمع صوتها . . . ولعل مما يدعو إلى العجب فى هذا أنه قد يراها بعد ذلك ويسمع صوتها ، فيجد أنها فى حقيقتها لا تتفق مع صورتها التى صوّرها فى مخيّلته ، ولكنه لا يستطيع ــ مع ذلك ــ إلا أن يحبها ، لأنه قد أحبها !

* * *

القبلة هى ذلك السر الرهيب الذى يودع الله قلوب العاشقين إيّاه من طريق شفاههم .

* * *

القبلة هى تلك الفجوة التى تمر منها عصارة قلب المحب لكى تصل إلى قلب من يحب .

* * *

القبلة هى تلك النسمة التى تسرى فى فؤاد المحب مسرى الدواء فى الجسم العليل .

* * *

المرأة إما ملاك رحيم أو شيطان رجيم .

* * *

أقوى ما فى المرأة إغراؤها . . . وشىء من الفطنة والحذر يجنّب الرجل الوقوع فى شراكها .

* * *

ينبغي على كل من يفكر فى خدمة بلاده أن يوطّن نفسه على ألا يتقاضى منها أجر خدمته ، بل يقدمها لها بدافع من وجدانه وعواطفه بدون مقابل : أولئك هم العظماء الخالدون .

* * *

إذا كان مفروضاً فيمن يخدم بلاده أن يقدم لها جهوده بغير مقابل ، فماذا عسانا أن نقول فيمن يتقاضون منها الأجر مضاعفاً : أولئك يلبسون مسوح الوطنية ، والوطنية منهم براء !

* * *

مهما طال أمد الظلم فلا بد أن تكون له نهاية .

* * *

من مميزات زماننا هذا أن من كان الحق فى جانبه يُظلم ، مالم تؤيده القوة .

* * *

إذا أصابك سوء ففكّر فى الله كثيراً ولا تفكر فيما أصابك .

* * *

لقد كانت عندى إلى اليوم بقية من حسن الظن بالناس ؛ أما اليوم فوالله إن الأسى والحسرة ليفتّتان أحشائي إذ أقرر أنه لم تبق لديّ ذرة من حسن الظن بهم :

* * *

قد يُخرج الانسان لنفسه وللناس من الحكم والمواعظ ـ تحت تأثير أزمة نفسية معيّنة ـ ما يُنزله منزلة الحكماء ... حتى إذا ما انقضت هذه الأزمة ، عاد سيرته الأولى ، وشرع ينقض بنفسه هذه الحكم والمواعظ ، واحدة فواحدة ، فلا يلبث أن يعود شراً مما كان !

* * *

إن لبعض الحيوانات من الخصال ما لو حازته الانسانية لكانت أسمى كثيراً مما هى الآن .

***

ليس من دأب الشاعر أو الفنان أن يبحث وراء الحقيقة ، إنما هو يجرى وراء صورة معينة ارتسمت فى مخيّلته — سيّان عنده إن كانت تطابق الحقيقة أو لم تكن ... فليس يعنيه إلا أن يخلع عليها من وحيه وخياله ، وأن يفرغ فيها إحساسه وعاطفته ، وأن ينفخ فيها من روحه هو ، لا من روح صاحبها .

***

عجباً للرجال : هم يعلمون تماماً أن فى الجمال حتفهم ، ومع ذلك تراهم يقبلون عليه مختارين !

***

لاشك فى أن النوابغ يؤدّون من أجسامهم وأرواحهم ثمن نبوغهم .

* * *

أرى أن قيمة المرء فى نفسه، لا فى المركز الذى يشغله فى المجتمع : ومن ثم نرى أن العظماء يُضْفون من عظمتهم دائماً على المراكز التى يشغلونها ، أياً كانت ، وأن المراكز لا تكسبهم من العظمة كثيراً ولا قليلا .

* * *

ما رأيت عظيماً من العظماء إلا كان التواضع أبرز شيمه ؛ وما رأيت إنساناً — كائناً من كان — ركب الغرور رأسه ونفخ الزهو أوداجه ، إلا هوى به الزهو والغرور إلى الحضيض .

* * *

من المسلّم به أن الناس يمقتون الظالمين لظلمهم ، لا لأشخاصهم : فكم من حاكم أحبه الشعب ورفعه فوق السماكين لأنه كان رحيماً عادلاً . . حتى إذا ما انقلب ـ بين عشية وضحاها ـ ظالماً عاتياً ، أنزل عليه الشعب جام غضبه ومقته ، وجذبه من عليائه إلى أسفل سافلين .

* * *

من عجَبٍ أن يؤذوك ويطلبوا إليك ألا تتألم : أتُراهم جهلوا أن الانسان خُلِق يتألم !

* * *

البلهاء هم الذين ينشدون السعادة في هذه الحياة الملأى بالشرور والآثام .

* * *

مما يسبب للنفس آلامها المستمرة ، أنها تنشد السعادة في هذه الحياة عبثا .

* * *

قد يتصور المرء سعادته عند غاية معينة ؛ فإذا ما بلغها ، انتقلت منها إلى غاية بعدها . . . وهكذا !

* **

من الحقائق الخالدة على الدهر أن الشعر والفن خُلِقا مع « حواء » : فطالما أن المرأة باقية ما بقى هذا الوجود ، فسيبقى الشعر والفن يستمدّان من جمالها ورقّتها وأنوثتها وعذوبتها غذاءهما وحيويتهما . . . وإنما يختلف الشعر والفن قوة وضعفاً بتباين دقة الإحساس ورقة الشعور وقوة العاطفة فى الشاعر أو الفنان .

***

كثيراً ما يقترف أحد الزوجين جريمة الخيانة الزوجية مع شخص لا يمتاز فى كثير أو قليل على شريكه فى الحياة ، بل قد يمتاز الشريك على ذلك الشخص من كل الوجوه — الأمر الذى يصعب علينا فهمه فى كثير من الأحيان : ولكنا إذا علمنا أن الانسان طموع

بطبعه ، أدركنا أنه لا يقنع غالباً بما فى يده ، بل يحب أن يستولى على كل شىء ؛ ولذا فإن الزوج ـ أو الزوجة ـ يجد دائماً من طبيعة نفسه ما يدفعه إلى ارتكاب هذه الجريمة ، إشباعاً لغريزة الطمع قبل سواها . . . وليس لهذا من علاج ـ فيما أعتقد ـ إلا أن تكون لديه المناعة الخلقية الكافية لمقاومة هذه الغريزة وكبح جماحها .

* * *

من أعجب الأمور أن الزوج ـ مهما بلغت به السن ـ أشبه ما يكون بالطفل : يُرضيه أتفه الأمور . . . فالزوجة تستطيع ـ بابتسامة بسيطة ـ أن تنال من زوجها ما قد يعجز عن أن يناله منه أعظم الناس دهاءً !

* * *

كلما فكرت فى الحرية ، راعنى أن حبها غير قاصر على شيء فى الحياة دون سواه : فإنى لأكاد أسمع الزهرة تهيب بمن يحاول اقتطافها أن يدعها وشأنها ؛ وهكذا يريد الطائر والحيوان أن يقول لصائده ؛ فما بالك بالانسان ؟ . . . تالله ليس أجبن ولا أنذل ممن يحاول كبت حرية الناس وإذلالهم . . . وليس بعظيم ذلك الذى يسطو بقوّته على شعب آمن فيستولى على بلاده ويسلبه حريته ، بل هو فى الحقيقة وغد جبان .

***

إنى أفهم أن أفنى فى فكرة ، ولكنى لا أفهم كيف أفنى فى إنسان ، كائناً من كان ، حتى ولو كان هذا الانسان هو الذى يمثّل الفكرة التى أفنى فيها ، أو يتزعمها : ذلك لأنه إنسان قبل كل شيء ؛ فمن الجائز

جداً أن يتحوّل – فى وقت من الأوقات – عن هذه الفكرة أو ينحرف عنها ، لسبب من الأسباب : أما الفكرة نفسها فخالدة .

* * *

إنه لمما يثير أشجانى أننى لا أكاد أغادر طفلاً شريداً حتى أصادف عشرات من أمثاله . . . وكثيراً ما يحدث أن أبذل لهم آخر قرش معى قبل أن أصل إلى آخرهم ، ثم أذهب إلى بيتى وأنا أشد ما أكون اكتئاباً ، لأنى أشعر بأننى لم أستطع التخفيف عن هؤلاء البؤساء : على أنى لا يسعنى إلا أن أحنى الرأس إجلالاً لهذه النفوس البريئة ، التى جنى عليها الفقر وإهمال ذويها ولم تجن هى على أحد ؛ فهى عندى أشرف من نفوس كثير من الأغنياء ، الذين يمرّون بهؤلاء البؤساء فلا يكون نصيبهم منهم إلا نظرة اشمئزاز وازدراء !

* * *

كما أن أول ما يجنى على الرجل اجتهاده ، فكذلك أول مايجنى على المرأة جمالها .

* * *

إذا كانت هناك سعادة فى هـذه الدنيا ، فتلك — فيما أرى — هي التي يوصّل إليها الألم : شأن الوردة ، لاتستطيع لمسها قبل أن تدمي أشواكها يدك .

* * *

أصدق الكلام ما خرج من القلب فنفذ إلى القلب .

* * *

ما رأيت فى هـذه الحياة إلا عجبا : فهذه زهرة نضرة تسقط قبل الأوان ؛ وتلك زهرة نضب معينها ، لا تزال ـ بعد ـ تتأرجح على وريقاتها . . . وهذا شاب غضٌّ جميل المحيّا ، وهذه غادة هيفاء ذات غصن رطب ووجه يفيض بالحسن والبهاء ، تمتد إليهما يد المنون ،

فيذبل غصناهما وهما ـ بعد ـ فى ميعة الصبا ؛ وذلك شيخ قبيح المنظر ، وتلك عجوز شمطاء ، يطويان من العمر قرناً أو يزيد ، ولا يزالان ـ بعد ـ على قيد الحياة . . . وهذا ثرى يكاد يجنّ من فرط الغنى ، يأتيه المال طائعاً مختاراً ، كأن صاحبنا فى حاجة إليه ؛ وذلك فقير بائس ، يقضى يومه من مطلع الشمس إلى غروبها فى طلب الرزق ، فيأبى المال إلا صدوفاً عنه وزهداً فيه : ولولا هذا الذى يبعثنا على العجب ، ما كان ذلك السر الذى يجلّ عن إدراكنا وتحار فيه أفهامنا .

* * *

إني لأكاد أصعق كلما أحسست أن المرأة هى الصخرة التي تتحطم عليها كبرياء الرجل ويتلاشى عندها ذكاؤه وعبقريته ، وتتناثر فوقها قوّته وتندكّ تحتها عزيمته وإرادته ... ولست أخشى أن أصرّح أننى أحتقر

نفسي وجنسي كلما تمثّلت في خاطري هذه الحقيقة الثابتة .

* * *

كثيراً ما نظن أن شدة تعلّقنا بالشيء تحملنا على كثرة التفكير فيه ؛ لكنّ عكس هذا هو الصحيح ، فكثرة تفكيرنا في الشيء هي التي تؤدي إلى شدة تعلقنا به . . . وأكثر ما يكون هذا وضوحاً في الحب : فقد لا تتجاوز علاقتك بمن تحب ـ في مبدأ الأمر ـ مجرد اللقاء والتعارف ؛ ولكنّ تفكيرك الدائم فيه ، وعنايتك البالغة به ، لا يلبثان أن يتدرّجا بك ـ لحظة بعد لحظة ويوماً بعد يوم ـ إلى أن تصبح هذه العلاقة تعلقاً فشغفاً وهياماً ، إلى حدٍّ يصعب عليك معه نسيانه إذا اقتضى منك الأمر ذلك يوماً ما . . . ولذا فإني أنصح إلى المحبين أن يخفّفوا من التفكير فيمن يحبّون ، شيئاً فشيئاً ؛ لأن هذا التخفيف من شأنه أن يبدّل شقاءهم هناء ، وأن يوقظهم من أحلامهم التي كثيراً ما تودي بهم إلى الهلاك ... كما أنصح إلى غيرهم .

ألا يندفعوا بكليتهم فى مثل هذا التفكير ، وألا يستسلموا له فى بادئ الأمر ، بل يصرفوا أنفسهم عنه بأقصى ما يستطيعون ، ليروضوها على النسيان إذا ما وجب .

* * *

من المشاهَد فى الحب أن المتحابَّين حينما يلتقيان لأول وهلة ، يفرغ كل منهما إحساسه فى الآخر ، حتى ليلتبس عليهما الأمر ، فيكاد الواحد منهما يعتقد أن الروح التى تدبّ فى جسده فى تلك اللحظة إنما هي روح صاحبه ، إلى حدّ أن اللحظة التى يفترقان فيها بعد هذا اللقاء إنما تكون فى الواقع أقسى على نفسيهما وأشد هولاً من لحظة الموت : فأنت إذا نظرت إلى الواحد منهما بعد أن يفارق صاحبه ، فمع أنه قد متّع نفسه فى تلك اللحظة بأسعد ما تتمتع به النفس البشرية ، فإنه يبدو لك متثاقلاً فى

خُطاه ، كأنما يجرّ نفسه إلى المقصلة ؛ فهو فى الحقيقة لا يريد أن يفارق صاحبه بأية حال ، حتى ليودّ أن يبقى إلى جانبه أيامًا ، بل أشهراً وسنين ، من غير ما طعام ولا شراب ، طالما هو ينهل من روح صاحبه ويرتشف !

* * *

ما أقسى أن يتلهّف القلب الجريح على دمعة واحدة تذرفها العين لتخفّف من لوعته ، فلا تجود عليه العين حتى بهذه الدمعة الواحدة !

* * *

من الناس من تحلّق أرواحهم فى أجواء نفوسهم ، وهؤلاء يستطيعون أن يسموا بأنفسهم إلى الكمال ؛ بخلاف أولئك الذين هبطت أرواحهم إلى قاع نفوسهم ، فإنهم لا يستطيعون ارتفاعا .

* * *

ليس يعنينى أن يسىء الناس فهمى أو يقصروا عنه ، بقدر ما يعنينى أن أستطيع فهمهم .

* * *

لعل أعجب ما يدعو إلى العجب فى مصر — وهو كثير — أننا ننفق الألوف فى الكماليات ، فى حين أن الملايين من الشعب ، الذين يسمّيهم أبناء الذوات — ساخرين — بالفلاحين ، والذين تُجمع هذه الألوف من دمائهم ، يحيون حياة السائمة ؛ وفى حين أن ألوفاً أخرى من الشعب لا يجدون طعاماً ولا مأوى . . . أليس هذا

مضحكًا ومحزنًا معاً ، بل ويدعو إلى شـدة التأمل والحذر ؟

* * *

من أعجب الأمور فى مصر ، كذلك ، أن جميع الطبقات ـ إلا الفلاحين ـ يكادون يُجمعون على أمر واحد : هو أن يلتمسوا رفاهيتهم من خزينة الدولة ؛ كأن أموال هذه الخزينة لم تُجمَع من دماء هؤلاء الفلاحين ، الذين يقنعون بما هو دون الـكفاف ، بل والذين يقنعون بما يشبه الموت . . . أليس من الحق أن مثل هذا التدلّل لم يعد محتملاً ؟ . . . أليس من العدل ، أيضًا ، أن يجنى صاحب المال ثمرة كدّه قبل أن يجنيها الآخرون ؟ . . . أما آن الأوان ـ إذن ـ للتفـكير فى سبيل آخر يؤدى إلى حفظ التوازن بين الطبقات ، قبل أن يستفحل الخطب ؟ ... أكبر الظن أن من يعنيهم الأمر سيفكرون فى هذا طويلا !

* * *

قرأت فى إحدى الصحف أن الحكومة رفضت أن ترخّص لثلاثين امرأة وفتاة فى مزاولة البغاء الرسمى ... وهذا حسن جداً وجميل ؛ ولكنّ المحزن ، حقاً ، أن هؤلاء البائسات اضطررن لأن يطلبن من الحكومة أن توجد لهن الطعام والمأوى ، أو تهيّئ لهن عملاً أو أزواجاً ، قبل أن تغلق فى وجوههن هذا الباب الذى ولجنه مضطرات ليقتتن . . . ولست أشكّ فى أن الحكومة ستجيبهن إلى هذا المطلب العادل ؛ ولكنّ الذى أريد أن أستخلصه من هذا ، هو أن الفاقة هى التى تدفع بالكثيرات من البغايا إلى احتراف البغاء ، فى حين أن من أثريائنا من لا يكادون يحسّون بهذا ، كما لو كانوا يعيشون فى المريخ ؛ أو لعلّهم يعرفونه جيداً ويتجاهلونه — الأمر الذى يجعلهم فى أدنى مراتب الوطنية ؛ فربما كان بعض الأجانب من المقيمين بين ظهرانينا خيراً لمصر

ممن ينتمون إليها من أمثال هؤلاء الأثرياء ، الذين لا يُعنَون بالتفكير فى غير أنفسهم !

***

قرأت ذات مرة فى إحدى جرائدنا المحترمة مأساة فتاة من عائلة شريفة ، أغرتها سيدة تبدو عليها أمارات الوجاهة ، جاورتها فى المسكن ، على الزواج من ابنها على غير رغبة من أهلها ، لتتخذ من عرضها - بعد ذلك - سلعة تتّجر بها ؛ وكان يتردد على هذه السيدة وابنتها الجميلة رجل من الأثرياء المعروفين - كما ذكرت الجريدة - حاولت السيدة أن تقدم له هذه الفتاة البائسة التى وقعت فى شراكها ، فرفضت الفتاة المخدوعة - بكل إباء - أن تفرّط فى عرضها ؛ ثم توسلت ، بعد ذلك ، إلى الرجل الذى توهّمت — ولا أقول توسّمت — فيه الشهامة والرجولة أن ينقذها مما أوقعتها فيه سذاجتها ، بعد أن قصّت عليه قصتها المحزنة ، فما كان من هذا

النطع ، الذى قالت الجريدة المحترمة إنه ثرى معروف ، إلا أن رفض أن يأخذ بيد الفتاة البائسة ، وأعرض عن هذه الخدمة الانسانية ، التى يتوق الكثيرون من ذوى النفوس العالية إلى أن تتيح لهم الظروف مثلها ، ظناً منه - إمعاناً فى النذالة - أنها قد تضطر ، إزاء هذا ، إلى التسليم له فى عرضها ... وإنى لأرجو أن تسمح لى الجريدة المحترمة أن أعتب عليها كثيراً لأنها لم تذكر اسم هذا الوغد الجبان ، الذى نعتته بأنه ثرى معروف ؛ ذلك لأن فى إماطة اللثام عنه درساً قاسياً له ولأمثاله من الأنذال المتنطعين ، الذين يعتقدون أن جاههم وثراءهم يحميانهم من لعنة الشعب واحتقار المجتمع .

* * *

أخوف من ينبغى أن تخافه — بعد نفسك — صديقك الذى تحبه .

* * *

إذا كان العقل قد ميّز الانسان عن الحيوان بشيء، فبالرياء : فمما يكاد أن يكون فى حكم الإجماع، أنّ كلا الزوجين يرائى صاحبه على أنه لا يحب سواه ، وهو يعرف أنه ـ فى هذا ـ أكذب الناس ... وإنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن الرياء يكاد أن يسود كل مكان ، بل هو يسود العالم بأسره .

***

إذا رزقك الله كنزاً من المال ، فثق أن المرأة كفيلة بأن تسلبك إياه فى أقل من لمح البصر !

***

يخيّل إلىّ أن الحب كثيراً ما يكون ضرباً من اللصوصية : فغالباً ما يسطو المحب على حبيبه سطواً دون أن يحسّ به ؛ فتراه يسلّط عليه تفكيره وعواطفه ، بل ويحتبسه فى قلبه ، ويذرف الدمع سخيناً من أجله ، وقد يضع فى هواه دواوين من الغزل الرقيق — كل هذا .

والحبيب لا يكاد يدرى منه شيئا . . . وليس ثمة شك في أن الانسان ليس من حقه أن يتصرف هكذا فى شأن الغير ، دون إشعارهم — على الأقل — بتصرفه ؛ وإن كان هذا النوع من الحب ، عندى ، هو أسمى أنواعه !

* * *

كلما سرّحت البصر فى هذا النور الذى أضاءت به العالم رسالة الفكر وبدّدت ظلامه ، يعترينى ذهول شديد ، فأعود مسرعاً إلى نفسى ، خشيةَ أن يفلت زمامها من يدى !

***

فى وسع الصغير أن يكون كبيراً وإن تراءى للناس صغيراً ، أو أرادوا له أن يكون كذلك .

***

يخيّل إلىّ أن الحرية شديدة المرونة كالسعادة : فقد كنت أعتقد — كالكثيرين غيرى — أننا سنغدو أحراراً منذ اليوم الذى ننال فيه استقلالنا ؛ ولكنّ الذى حدث بعد ذلك مباشرة ، هو أن الحرية لقيت من صنوف التضييق والاضطهاد ما لم تلقه فى أشد أيام الاحتلال : فقد كان يكفى أن يحيّى الانسان صديقاً له

لا يؤيّد الحكومة القائمة ، لينال من ألوان الاضطهاد ما لا يحدّه الحصر ... ولا زلت أعتقد أنه ليس في وسعي أن أصرّح الآن بكل ما يجول في خاطري من الأماني لرفعة هذا الوطن ، وإن كنت أعتقد أننا اليوم أحسن حالاً منا فيما مضى .

***

ليتني كنت أحيا في الأثير : إذن لاستطعت أن أكون سعيداً ، لأنني سأعيش حرّاً !

***

إني أكره الاعتذار إليّ بقدر ما أكره تقديم الشكر لي ، وإنما أحب أن يعرف كل إنسان واجبه ، كما أحب أن أؤدي ما أعتقده واجبا .

***

في نفس الجريدة المحترمة — التي حدّثتنا عن موقف ذلك « الثري المعروف » من تلك الفتاة البائسة ، التي توسلت إليه أن ينقذ شرفها فأبت عليه «رجولته» أن

يأخذ بيدها — قرأت العنوان الآتى : (شاب نبيل ينقذ فتاة من الهاوية ، ويضرب مثلاً أعلى للرجولة والشهامة ، فيرسل امرأة ساقطة إلى السجن وتعود الفتاة إلى أسرتها) . . . وهذه مأساة أخرى تشبه مأساة فتاة ذلك الثرى النذل ، التى كانت الجريدة المحترمة قد نشرتها تحت العنوان الآتى : (رجل من الموسرين يشهد سقوط فتاة إلى هاوية الرذيلة ، وتستغيث به لينقذها ، فيصمّ أذنيه ويتخلى عن إنقاذها) . . . قارنت بين العنوانين ، ثم قارنت بين الرجلين : فإذا أنا أمام نذل جبان ، ولو أنه من الموسرين ؛ وإذا أنا أمام شهم موفور الرجولة ، ولو أنه لم يحظ بهذا « الشرف » العظيم !

* * *

مما هو جدير بالذكر فى مأساة هذه الفتاة التى انتشلها ذلك الشاب الشهم من وهدة السقوط ، أن والدها كان — كما ذكرت الجريدة المحترمة — قد شبّ محباً للخير ،

ساعياً إلى تخفيف ويلات الفقراء والمساكين : يرى السعادة فى إدخال السرور على نفوس الأطفال اليتامى ، ويتصدق على المعوزين بإحسان ؛ وكان مؤمناً كل الإيمان بالله : يرى فى وفرة ماله وفى كثرة عمّاله مظهراً من مظاهر رضاء الله عنه ، ويعتقد فى قرارة نفسه أن هـذا المال لم يعط له ليأكل ويلهو ويسعد ، بينما هناك قوم يموتون لأنهم لا يجدون ما يأكلون ، ويمرضون لأنهم لا يجدون ثمن الثوب الذى يدفع عنهم غائلة المرض ، وإنما لهؤلاء وهؤلاء حق فيه ؛ وكانت المادة آخر شىء يفكر فيه هذا الرجل ، فقد كان يعطي بكلتا يديه ؛ وقد شاء الله أن تنتهى حياته سريعاً ، فقبضه إلى جواره دون أن يترك لزوجته وفتاته اليانعة ـ صاحبة هذه المأساة ـ ما يقيهما شر الحياة ولؤم الناس ، فقد وجدت الزوجة فى أقرب الناس إلى زوجها فى حياته أعدى الناس لها ولابنتها بعد مماته ... هذا هو ما ذكرته الجريدة المحترمة

عن والد هـذه الفتاة ؛ فانظر كيف قيّض الله تعالى ـ جلّ شأنه ـ لابنته ، من بعده ، من ينقذها من وهدة السقوط ! : وهكذا لا يضيع جزاء الخير عند الله ، وإن ضاع عند الناس .

* * *

ليبارك الله الزوجين إنْ كانا شريفين طاهرين ؛ ولينزل عليهما اللعنة إن كانا فاسقين دنسين .

* * *

الغيرة دليل على صفاء الحب وقوّته إذا لم تـكن بين الزوجين ؛ فإن كانت بينهما ، كانت دليلاً على قيام الشك فى نفس صاحبها من جهـة الآخر : فـكثيراً ما تنشأ الغيرة بين المحبَّين على أساس من الوهم ؛ ولـكنها لا تنشأ بين الزوجين ـ غالباً ـ إلا على أساس صحيح .

* * *

من أعجب ما فى الحب أن ملاك المحب « الطاهرَ » قد يكون منغمساً فى الرجس إلى أم رأسه !

***

الحب وإن كان مستقره فى القلب ، إلا أنه يختلف فى مصدره : فقد يكون مصدره العقل ، وقد يكون مصدره الشهوة . . . وأولهما هو الذى يخضع فيه المحب لجمال الخُلُق ؛ وأما الآخر فهو الذى يخضع فيه المحب لجمال الخلقة . . . والأول لا تنطفىء جذوته ، لأنه ليست له غاية ؛ أما الثانى فقد تنطفئ جذوته ببلوغ غايته .

***

ليتنى كنت واحداً من هؤلاء السادة الأثرياء، الذين تَعُدّهم مصر — على الرغم منها — من بين أبنائها وهم فى الحقيقة عالة عليها ، لأنهم لا يعيشون من أجلها ، بل هم يعيشون فى الواقع لحساب أنفسهم : إذن لاستطعت أن أخلق من هـذا الشعب أمّة فتية ، تناطح السحاب وتغالب الأقدار .

***

من سوء حظ هذه الأمة أن الـكثير من رجالاتنا يُعنَون بالدعاية لأنفسهم أكثر مما يُعنَون بخدمـــة بلادهم : فهم إذا أدّوا خدمة إليها ، فإنهم لا يفكرون ـ عندئذ ـ فى أداء هذه الخدمة لذاتها ، بقدر ما يفكرون فى أدائها كوسيلة لإدراك غايتهم الـكبرى ؛ ألا وهى الدعاية لأنفسهم ، والإعلان عنها بشتى الوسائل !

***

إنه ليحز في فؤادي أن أرى أقطاب السياسة في هذا العصر – إذا قُدّر لهم أن يعتلوا منصة الخطابة – يلوكون في أفواههم تلك العبارات المعسولة : خدمة الحضارة والسلام . . . خدمة الانسانية . . . خدمة النوع البشرى . . . الخ . ، في نفس الوقت الذى تئن فيه الانسانية من عسف الاستعمار واستبداد الحكام !

ولكم وددت لو أن هؤلاء الساسة يعلنون – عند اعتلائهم منبر الخطابة – أنهم يتجردون في تلك اللحظة من جنسيتهم ، وأنهم يتكلمون كأفراد من المجموعة البشرية ، فحسب . . . أما وهم لا يستطيعون – إذ يعتلون المنبر – أن يتجردوا من جنسيتهم ، فإن عباراتهم الحلوة – مهما طاب مذاقها – لن تجد إلى قلوب سامعيها سبيلاً ، لأنها تتجافى مع المنطق والواقع ؛ وهيهات لها أن تلقى منهم غير السخرية والاستهزاء !

* * *

إنه ليسعدنى أن تأتي اللحظة التى أستطيع فيها أن أضع تشريعاً يؤدى إلى خير الانسانية وتخفيف ويلاتها ؛ أوأن تأتي اللحظة التى أرى فيها هذا التشريع قائماً ، أيًا كان واضعه .

***

من مساوئ الادارة الحكومية أن بعض الرؤساء يأبون إلا أن يجمعوا السلطات كلها فى أيديهم ، لا نهم نهماً من هذه الناحية يريدون أن يُشبعوه . . . وكثيراً ما يسبّب هذا التركيز اضطراب العمل وتعويقه ، لأن وقت الرئيس لا يتسع له كله مع وجود هـذا التركيز . . . وإنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن هـذا التركيز قد يسبب لهؤلاء الرؤساء شيئاً من الخبل فى بعض الأحيان : أعنى أنهم قد يقرّون الشيء ونقيضه فى وقت واحد !

***

قرأت فى إحـدى الجرائد المحترمة ، أيضاً ، تحت العنوان الآتى : (فتاة ساقطة تسعى لانقاذ فتاة طاهرة) قصة فتاة تقول عن نفسها ـ فى بلاغ قدّمته إلى النيابة ـ إنها نشأت فى الحياة نشأة غير شريفة ، وسلـكت طريقاً معوجًا ، وعاشت فى طفولتها وصباها وسط بيئة غارقة فى أوحال الرذيلة ؛ فـكتب لها القدر أن تحيا الحياة التى درجت عليها ، ولـكنّ نفسها ظلت نقية طاهرة ، وقلبها ينطوى على الخير ، على الرغم من الحياة الموبوءة التى تحياها . . . وقد دخلت هـذه الفتاة ـ كما قالت ـ منزلاً موبوءاً لتكسب فيه عيش الرذيلة ، فألفت فى إحـدى الغرف المظلمة فتاة لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها ، يبدو على مظهرها أنها ضحية سماسرة الأعراض ، وتبدو السذاجـة والطهارة على وجهها ؛ هذه الفتاة محبوسة فى هذا المنزل ، وتلقى أشد أنواع العذاب : يحرمونها الطعام ، ويهدّدونها بالقتل وغير القتل ؛ وكل هـذا ـ كما تقول

تلك الفتاة « الساقطة » ـ لإرغامها على الخضوع لأن تحيا حياة الرذيلة . . . وقد ختمت تلك الفتاة « الساقطة » بلاغها ـ كما ذكرت الجريدة المحترمة ـ مستصرخةً النيابة أن تعمل على إنقاذ هذه الفتاة من أسرها !

أليس الموت أهون على نفس الانسان من أن يعيش في هذه الدنيا حتى يشهد هذه المتناقضات ؟ : ذلك رجل من الموسرين يشهد سقوط فتاة إلى هاوية الرذيلة ، تستغيث به لينقذها ، فيصمّ أذنيه ويتخلى عن إنقاذها . . ! وهذه فتاة ساقطة تسعى لإنقاذ فتاة طاهرة ، لم تفكر في أن تستغيث بها !

***

كثيراً ما تسبب لى صراحتى شيئاً من الألم غير قليل ؛ ولكنى ـ مع هذا ـ لا أرضى لنفسي غير الصراحة خلقاً . . . وكثيراً ما نصح إلىّ إخوانى أن أغيّر من

طبيعتى هذه ، ولكنّ نصحهم لم يستطع أن يَشُقّ إلى نفسى طريقه .

* * *

كثيراً ما يسىء إليك بعض الناس من حيث يريدون أن يُظهروا لك أنهم يُرضونك . . . ولو أنهم أعفوك وأعفوا أنفسهم من هذا الذى يحاولونه معك ، لأراحوك وأراحوا أنفسهم .

* * *

من الناس من يسائل نفسه أو غيره ـ متهكماً ـ عن زيدٍ أو عمرو : « وما قيمة فلان ؟ » . . . ولو أنه رجع إلى نفسه ليسائلها : « وما قيمتى أنا ؟ » . . . لو أنه فعل هذا ، لاستحى أن يعود إلى نفسه أو إلى غيره مرة أخرى ، ليسأل عن قيمة زيدٍ أو عمرو من الناس !

* * *

لو تألّب على الانسان أعداؤه جميعاً فى وقت

واحد ، لما كانوا أشد فتكاً به من الغرور .

* * *

هذه الدنيا أشبه شيء بسوق كبيرة ، يتجمّع فيها الناس منذ الصباح الباكر ؛ حتى إذا ماقضى كل منهم وطره ، عاد أدراجه إلى حيث أتى ، فلا تلبث السوق أن تصبح قاعاً صفصفا . . . اللهم إلاّ هذه الأشباح الآدمية التى لاتظهر إلا فى الليل لتعيث فى الأرض فساداً ، والتى يحلو لى أن أسمّيها « لصوص البشرية » !

* * *

مهما حاول الناس أن يزيّنوا من جمال المرأة الساقطة ، فإنها لاتعدو — فى نظرى — أن تكون امرأة ساقطة .

* * *

فى غير مصر من البلاد ، تقوم الهيئات المختلفة بإنشاء بعض معاهد التعليم الجامعى وما دونه ؛ أما فى مصر ، فإن الحكومة — وحدها — هى التى تقوم بجميع التكاليف فى مختلف الشؤون ، فى حين أن معظم دافعى الضرائب من الطبقات الفقيرة . . . ولقد عنّت لبعض أولى الأمر فكرة إنشاء معهد خاص لتعليم أبناء الطبقات الخاصة ، بدلاً من لجوئهم إلى الكليات والمعاهد الأجنبية : وهى فكرة فى غاية السداد . . . ولكن ماذنب الطبقات الفقيرة حتى تدفع من عرق جبينها تكاليف إنشاء هذا المعهد أو سواه ، ليتعلم فيه أبناء الطبقات الخاصة دون أبنائها ؟ . . . ولِمَ لاتُجمع تكاليف إنشاء مثل هذا المعهد من أموال هؤلاء السادة ، مادام أبناؤهم هم الذين سيتعلمون فيه دون سواهم ؟

فى الحق إنى لا أفهم وجهاً لمثل هذا البذخ ، الذى لا ينبغى أن تتمتع به الطبقات الخاصة على حساب الطبقات الفقيرة — الأمر الذى يوجب على الحكومة أن تفرض على الأغنياء ضريبة تمكّن الدولة من الإنفاق فى مثل هذه الوجوه ، دون أن تثقل كاهل الطبقات الفقيرة ، أو تحرمهم حقهم الطبيعى فى الحياة .

* * *

لم أجد فى الحياة ماهو أشد بؤساً من الحرية : فبعض الناس يتملقها حينما يريد أن يرتفع على حسابها ؛ حتى إذا نال بغيته ، تنكّر لها وتبرّم بها — شأنه فى ذلك شأن كل لئيم .

* * *

إنى ليسعدنى أن أضع عقلى وقلبى وروحي ، بل وكل ما أمتلك ، فى خدمة الانسانية ، بوجه عام — والانسانية المعذبة ، بوجه خاص .

* * *

يخيّل إلىّ أن النفس البشرية تعتاد حالتها إلى حد أنه يصبح من العسير إخراجها منها : فأنت ترى الرجل الرقيق الإحساس يحسّ نحو البؤساء بشعور من الألم العميق ـ قد لا يحسّون هم أنفسهم به ـ يثير إشفاقه عليهم ؛ حتى إذا ما حاول أن ينتشلهم من وهدة البؤس ، عزّ عليهم كثيراً أن يخرجوا مما هم فيه ، وودّوا لو أعفاهم من هذا الفضل العظيم !.

* * *

لو شئنا أن نُحصى كلام الناس بالباطل فى حق غيرهم ، لاستنفدنا الأرقام كلها وطلبنا المزيد !

***

كما أن المرأة قد تخلق من الشخص العادىّ رجلاً عظيماً ، فإنها ـ كذلك ـ قد تهبط بالرجـــــل العظيم إلى الحضيض .

***

ما أكثر ما تكون المرأة مضيعة للوقت أو المال أو الجاه أو الشرف . . . ولا أعدو الحق إن قلت لها جميعا .

***

قد تلبس لك الفاجرة ثوباً من النبل والسمو ، فيخدعك مظهرها . . . لكنّ الشيء الذى ينبغى أن تعلمه ، هو أن المرأة متى زلّت قدمها ، انهارت أخلاقها وهوَتْ إلى الحضيض ؛ وهيهات أن ترتفع أخلاق الفاجرة عن موطىء القدم .

***

كلما قرأت نبأ مأساة من المآسى الخلقيـــــة التى ترتكبها الزوجات ، ألفيت الجريدة التى تروى هذا النبأ تصف الزوجة الخائنة بأنها « على جانب غير قليل من الجمال » . . . أفلا يعلمون أن الجمال الحق هو جمال

الخلق لاجمال الخلقة ، وأنه ـ وحده ـ هو الذى يكفل غاية السعادة للزوج ؟

***

إذا فقد الانسان الحب فإنه لايجد إلا الشقاء الدائم ؛ أما إذا لم يعرفه ، فإنه ينعم بالراحة والهناء .

***

إن أحفل لحظات حياتى بالسعادة هى تلك التى أوفق فيها إلى تقديم معونة لشخص يستحقها . . . وهى — على وجه أخص — تلك التى أستطيع فيها أن أخفف من بؤس بائس ، أو أجفف دمعة صادرة عن قلب كسير . . . وهى — كذلك — تلك التى أوفق فيها إلى معاونة المظلوم على رفع الظلم عنه . . . وهي — فوق كل ذلك — تلك التى أوفق فيها إلى إسعاد البشرية ، بوجه عام — وإسعاد مواطنىّ ، بوجه خاص .

***

فى وسعى أن أقرر أن السعادة الحقة هي أن تكون مقتنعاً بينك وبين ضميرك بأنك ستلقى الله بقلب خالص ونفس مطمئنّة .

***

من المشاهَد أن الصغير إذا سأل عن الكبير ، فإن هذا وإن عدّه صاحبه أدباً منه ، فإن الناس يعدّونه تملقاً ومداهنة ؛ أما الكبير فإنه إذا سأل عن الصغير ، فإن هذا يُعدّ عطفاً منه ونبلا .

***

الذى يستصغر كل عمل يعمله فى بدايته ، لا بدّ بالغٌ به غاية الكمال فى نهايته .

***

الذى يُحجم عن التفكير فى أمر من الأمور ، لابدّ أن ينساه .

***

لا يستطيع أن يدرك حقيقة النفس أحد سواها ؛ ولذا فهى سرٌّ لا يعرفه غير صاحبه .

***

من أسعد اللحظات فى حياة الإنسان تلك التى يُغمر فيها بالجو الذى يكتنفه ، بحيث ينسى نفسه وكل ما حوله ، فلا يحسّ شيئاً غير هذا الجو الذى يغمره .

* * *

لست أحب أن أرى ثغور الغيد باسمات ، بقدر ما أحب أن أرى عيونهن باكيات ؛ لأن الأولى تثير فى النفس أحط الغرائز ، أما الثانية فإنها تثير فى النفس أسمى المشاعر والوجدانات .

* * *

لو استوحيتُ السماء أدبى لأكتب إلى من أحبّ ، لخشيتُ ألا يبلغ من السموّ مثل مالها من المكانة فى نفسى .

* * *

قلبى ملآن بالحب ، ولكنه لا يجد الإناء الذى يسكبه فيه .

* * *

الحب هو امتزاج النفس بالنفس والقلب بالقلب والروح بالروح .

***

أعظم المحبين شقاءً من لا يملك قربًا ولا بُعدا .

***

الحب الذى تضطرم فيه النفوس وتتلظى فيه القلوب هو الذى ينفخ فيه الشيطان .

***

كثيراً ما يبلغ الحب بصاحبه حدّ الهوس والجنون ، فلا يعبأ فى سبيله بارتكاب أخطر الأمور .

***

الحب حلكة لا يرى فيها البصير !

***

لقد علمتنى الآلام كيف أكون إنسانا .

***

ينبغى ألا يتشبّث الإنسان كثيراً بالسعادة ، ما دامت للحياة نهاية .

***

يربح الانسان كل لحظة يقضيها فى هذه الدنيا فى هناءة وسرور ، لأن الأجل محدود .

***

أكثر الناس توفيقاً فى الحياة أمضاهم عزيمة وأبعدهم عن التردّد .

***

الشباب هو خير مدرسة يتلقّى فيها المرء دروس المستقبل .

***

ليس من المستحيل فحسب ، بل ومن العار أيضاً ، أن يسلك الانسان إلى المجد طريقاً غير شريف .

* * *

يجب أن يحذر الرجل المرأة دائماً ، وإن بلغت حدّ الكمال .

* * *

يجب ألا تنال المرأة من عطف الرجل إلا ما هي جديرة به فحسب ؛ فإذا هي نالت أكثر من ذلك ، كانت مصدر شقائه وبؤسه ، بل عاره وشينه .

* * *

القلب كنز مغلق ، مفتاحه الحب .

* * *

أعظم النفوس وأنبلها أنزَعُها إلى الحب .

* * *

لا تُطاع نصيحة فى الحب ، ولا يُصاخ لغير صوت القلب .

* * *

كثيراً ما يعلى الحب على صاحبه غير الحقيقة ؛ ولذا فإن حياته ملآى بالظنون والأوهام .

***

كثيراً ما يُهلك الحبُّ صاحبه قبل أن يدرك منه غايتـــــه .

***

الحب ثورة من الجنون يكون القلب فيها أشبه شيء بالبركان « الساكن » ، الذي يثور ثم يخمد، ويخمد ثم يثور .

***

قلّما يصادف ذوو الضمائر نجاحاً فى حياتهم ، فقد أصبح العالم عالم غش وخداع ورياء .

* * *

من الناس من لا يفكرون إلا فيما حولهم من الأمور فحسب ؛ وهؤلاء أبعد ما يكونون عن حقيقة الحياة .

* * *

ليس يهوِي فى الحياة مثل ثلاثة : أصحاب العقول الساذجة ، فإنه يسهل انخداعهم ؛ والذين تطغى عليهم شهواتهم ، فإنهم لا يرون إلا بعين واحدة ؛ والذين يسارعون إلى تلبية نداء قلوبهم ، فإنهم ضعاف العزائم .

* * *

أشدّ أيام الحياة عناء أيام الشباب الثائرة .

* * *

الإخلاص كلمة طاهرة لا تنطبع إلا على صفحات القلوب البريئة .

* * *

إذا بكت المرأة أمام الرجل ، كانت دموعها مصدر عطفه وحنانه عليها ؛ وإذا بكى الرجل أمام المرأة ، كانت دموعه مبعث اعتزازها بنفسها وتدللها عليه .

* * *

العقل يقود الانسان دائماً إلى طريق الخير .

* * *

طريق العقل لين سهل ؛ وطريق القلب وعر خشن .

* * *

للقلب أن يأمر ، ولكن ليس على العقل دائماً أن يطيع .

* * *

إذا اشتدت ثورة القلب ، فعلى العقل أن يفسح له الطريق .

* * *

إذا أصيب القلب أصبح كالغريق : يتعلّق بأتفه الأشياء .

* * *

لو عرف المحب حقيقة من أحبّها قبل أن يحبّها ، لما فكّر لحظة واحدة فى أن يحبّها !

* * *

لا ينعم الانسان بسعادة الحب إلا مع الذى يستطيع أن يفهم حقيقة نفسه .

* * *

الحب يخلق فى النفوس الكريمة أسمى أنواع الفضيلة .

* * *

لقد لقّنتُ ولدى أن يثور للحق ، حتى ولو ثار — يوماً — فى وجه أبيه !

***

أشقى ما تكون النفس إذا حالت الظروف بينها وبين الحرية .

***

ما أشقى الانسان إذ يشعر بالعناء بعد الراحة الكاملة ؛ وما أسعده إذ يشعر بالراحة بعد العناء الشديد !

***

من أشد آلام النفس أن تذوق حلاوة زائلة ، تعقبها مرارة دائمة .

***

لو أدرك الناس أن الانتحار هو أشدّ وسيلة لتعذيب

النفس ، لما اتخذوه وسيلة للتخلص من آلامهم .

* * *

لو عرف كل إنسان آلام غيره ، لزال الحقد من قلوب الناس .

* * *

قلّما يجلب القلب الطيب لصاحبه السعادة في هذه الدنيا .

* * *

كم من الناس يتّخذون من الزواج ستاراً يأتون خلفه من الأمور ما قد يتحرّج الأعزاب من إتيانه !

* * *

المرأة إذا نقصت فلن تكمل ؛ أما الرجل إذا نقص فقد يكمل .

* * *

يجب أن يعرف الرجل أن المرأة هي المرأة على الدوام .

* * *

المحبّون أشقياء ، وإن ظن الناس أنهم سعداء .

* * *

أشقى المحبين من خُدع فى حبه .

* * *

ما ألذّ أن يشكو محب إلى محب مثله !

* * *

قد يصبح الحب بعد الصدّ حلماً ؛ إذا هاجت ذكراه ، بلغت بالمرء حدّ الجنون .

***

قد ينقضى الحب ، ولكنه يترك فى القلب أثراً لا يُمحى أبد الدهر .

* * *

لا دليل على الحب أقوى من التفانى وإنكار الذات .

* * *

مطبعة حجازي بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

